جامعـــــة المنصـــــورة
كليـــــــة الحقـــــــوق
إدارة الدراســـات العليـــا
قسم الشريعة الإســـلامية

عنوان البحث

ظاهرة الإسلام فوبيا فى الفكر الغربى وموقف الإسلام منها

إشراف الأستاذ الدكتور
أبو السعود عبد العزيز موسى

مقدم من الباحثة
أميرة رزق نجيب حسين سالم
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

مقدمة:

تعد ظاهرة الإسلام فوبيا من الظواهر الحديثة التي طرأت على الساحة الدولية وهو مصطلح يعنى الخوف من الإسلام والمسلمين فى الغرب وقد طغى هذا المفهوم بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر فى الولايات المتحدة الأمريكية، التى عملت على تصديره إلى العالم عبر مؤسساتها الإعلامية وشركات وسائل التواصل سواء المرئية أو المسموعة، وتعد ظاهرة الإسلام فوبيا أداة بارزة وشكل من أشكال التفرقة والتمييز العنصرى ضد الإسلام والمسلمين وكان هذا دافعاً لطرد وتشريد الكثير من المهاجرين العرب والمسلمين فى دول الغرب وممارسة كافة أشكال العنصرية والاضطهاد ضد المقيمين منهم هناك.

أهمية البحث : تكمن فى تسليط الضوء على ظاهرة الخوف من الإسلام والمسلمين التى اصطنعها الغرب وروج لها عبر نشر الأفكار المتطرفه التى لا تمت للإسلام بثمة صلة .

وهذا ما جعل على عاتق كل مسلم رسالة هامة وضرورة ملحة، وأمر إنساني أولاً حيث أن الإسلام دين ليس لأتباعه فقط بل للبشرية جمعاء، وهذه الرسالة مضمونها الوحيد دون تغير أو تبديل أو خداع أو تحريف هى إظهار الوجه الحقيقى الخفي للإسلام، وإزالة الشبهات الإرهابية التى حاول الغرب إلصاقها بالإسلام، أخذاً فعل بعض المتطرفين وتقديم هذه الأفعال على أنها الصورة الوحيدة والنمط الأوحد للدين الإسلامى.

فكان لزاماً علينا أن نختتم هذا البحث بصورة أيديولوجية الإسلام ومساواته بين الأجناس وكيف ساوى الإسلام بين المنتسبين له وغير المنتسبين، وكيف أعطى كل ذى حق حقه فالدين الإسلامى دين المساواة والسماحة واليسر حقيقة، وليس أبداً دين التعصب والتشدد.

خطة البحث :لذا قمت بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث وهم : مبحث تمهيدي : فى وسطية الإسلام ومبحث أول : فى الغرب وظاهرة الإسلام فوبيا.وتم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب المطلب الأول : تعريف الظاهرة والمطلب الثانى : أسباب الظاهرة والمطلب الثالث : وسائل الظاهرة ومبحث ثالث : أيديولوجية الإسلام و موقفه من ظاهرة الإسلام فوبيا. . وتم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب وكل مطلب إلى فروع

المبحث التمهيدي
وسطية الإسلام

أيديولوجية الإسلام : تعنى سبل حياة هذا الدين (طرقه وأدواته وأساليبه) وقد اختار الإسلام الوسطية فى كل شيء أيديولوجيته فى هذه الحياة.

- وهذه الوسطية فى علاقة حاضرنا بماضينا وتعنى التمييز بين الثوابت وبين المتغيرات والإلتزام بالدين مع الاستفادة بالفكر الدينى دونما جمود مذهبى .

- والوسطية تعنى : أيضاً علاقة ذاتيتنا الحضارية والثقافية بالآخر الحضارى والثقافى أى التمييز فى الفكر الإنسانى بين علوم المادة التى تمثل حقائقها وقوانينها المشترك الإنسانى لكل البشرية وبين علوم العقائد والفلسفات والعلوم الاجتماعية والإنسانية ..... ففى هذه المنظومات الثقافية تتمثل الخصوصيات التى تتمايز فيها وبها الامم والحضارات.

- والوسطية فى العلاقة بين العقل وبين النقل تخرج الأمة من المعركة الوهمية التى تشل قدراتها فالعقل لا يقابله النقل وإنما العقل هو سبيلنا لفقه النقل لكن العقل ككل الملكات الإنسانية نسبى الإدراك والعلم فلابد له من النقل ليعلم به مالا يستقل بإدراكه من نبأ الغيب ووحى السماء.

- وهذه الوسطية تخرجنا من غلو "النصوص الحرفية" التى تتنكر لعقلانيتنا المؤمنة، ومن غلو "العقلانية المؤلهة للعقل" كما فى شعار لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده.

- وهذه الوسطية الإسلامية تخرجنا من غلو المركزية – النافية للتنوع – ومن غلو التشرذم النافى للاتحاد.[١]

- فالوسطية فى التصور الإسلامى هى الحق بين باطلين والعدل بين ظلمين والإعتدال بين تطرفين والموقف العادل المتوازن الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال الرافض للغلو إفراطاً وتفريطاً.[٢]

وفى ضوء هذا المضمون للوسطية الإسلامية الجامعة نقرأ أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم " وقوله صلى الله عليه وسلم "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه..."[٣] وقوله صلى الله عليه وسلم " إن الله لم يبعثنى معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثنى معلماً ميسراً".[٤] وعن السيدة عائشة – رضى الله عنها - : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين فى الإسلام إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل"[٥] وصدق الله العظيم إذ يقول : وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ " [٦]

١- الإسلام فى مواجهة التحديات، د. محمدعمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة الأولى ، يناير٢٠٠٧م ص ٨١-٨٢

٢- المرجع السابق، ص ٨٤

٣- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم ٣٩، ص٢٠

٤- صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، برقم ١٤٧٨

٥- صحيح مسلم ، كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، رقم ٢٣٢٧ ، ص١٨١٣

٦- سورة البقرة : آية ١٤٣

المبحث الأول
الغرب وظاهرة الإسلام فوبيا

إن من أسلحة الغرب فى معركة التفوق الغربي على الآخر وخاصة المسلم، تشوية الحضارة والعمل على تفريغ الهوية الشخصية، والتخوف منها دائما، هذا السلاح هو الإعلام الموجة ضد الآخر حتى تكون صورته دائما فى عقول الأفراد ونظر المؤسسات والحكومات والدول كما يريد صاحب هذه الحرب، وهو هنا الغرب، ولما كانت العنصرية جريمة مكتملة من حيث الباعث والسلوك واستخدام الآداة، ووجود الجاني والمجنى عليه (الضحية) فيكن القول بأن الإعلام هو آداة من آدوات الجريمة، هذه الآداة ليست حادة كالسكين تسبب الجرح، أو لها وزن ثقيل فتضرب بها الضحية فتسبب القتل، بل على الرغم من كونها تناقل كلام وصور وبث أحداث وروايات غير حقيقة، إلأ أنها تسبب ذات النتيجة من استخدام الآدوات القاتلة.

إن العالم الإسلامي يواجة جملة من التحديات تختلف عن كل الأشكال الأخرى من التحديات التى عُرضت له فى تاريخه، حيث تتعرض صورة العالم الإسلامي لكثير من التشوية والتحريف والتضليل فى أغلب وسائل الإعلام الغربية، فهى بذلك تمس هويته وصورته ومكانته بين الأمم، وتهدد مستقبل أتباعه وتعيق تحقيق الهدف الأسمى من الحياة آلا وهو تحاور الحضارات واكتشاف الآخر على وجه صحيح، والتعيش السلمي وقبول الآخر.

ولما كانت انتشار ظاهرة التشويه الإعلامي لصورة الإسلام والمسلمين، من بين أخطر هذه التحديات، إذ تؤدي إلى تحريف الحقيقة وتضليل الرأى العام والخاص، وتألب على المسلمين فى كل مكان، كانت هناك ضرورة إلى النظر إلى ظاهرة تشويه الإسلام فى الإعلام الغربي على أنها قضية ذات اعتبار جوهري يجب بحثها والتصدى لها.

لذا قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب :

الأول: تعريف الظاهرة

الثاني: بيان أسبابها

الثالث: وسائلها.

المطلب الأول
تعريف الظاهرة

تعريف الظاهرة :

الإسلاموفوبيا هو الخوف أو الكراهية أو التحامل ضد الدين الإسلامي أو المسلمين بشكل عام، لا سيما عندما ينظر إليه باعتباره قوة جيوسياسية أو مصدر للإرهاب. ولفترة طويلة بالنسبة للغرب المسيحي، كان المسلمون يشكلون خطراً قبل أن يصبحوا مشكلة. وهكذا، فإن الإسلاموفوبيا المعاصرة هى أكثر نتيجة لعلاقة التناقض مع الحقيقة المسلمة بالعنصرية البيولوجية أو حتى الثقافية.

يشير مصطلح الإسلاموفوبيا إلى صورة من الهلع الثقافي قد يحدث إثر شيوع موجات من الحذر العام تجاه دولة او حركة سياسية او دعوة دينية أو حضارة موازية أو معاصرة لحضارة من الحضارات، وذلك مثلما حدث إزاء الهلع من النازية قبل وخلال حرب العالمية الثانية، وتخوف العالم الرأسمالي الغربي من الاشتراكية خلال فترة صعود الغتحاد السوفيتي السابق وتمكن النظام الشيوعي فى الصين وشرق أوروبا وكوبا، ومنها التخوف من الإسلام.

الرهاب أو الفوبيا مرض نفسي، يعنى الخوف الشديد والمتواصل من مواقف ونشاطات صادرة عن الآخرين.[٧]

على المستوى النظري، يرى الباحثون والمفكرون أن الإسلاموفوبيا تعرف على أنها " المخاوف أو الأحكام المسبقة تجاه الإسلام والمسلمين والمسائل المرتبطة بهما".

فهى مخاوف وأحكام مسبقة تأخذ شكل سلوكيات عدوانية رمزية أو فعلية تجاه المسلمين تصل إلى درجة الاعتداءات الجسمانية.[٨]

بهذا المعنى تعبر الإسلاموفوبيا عن التمييز العنصري تجاه الإسلام والمسلمين، مما دفع بعض المفكرين إلى الضغط على المفهوم ليتجه مباشرة نحو هذا المعنى، إذ يفضل "عمر أورهون" استعمال الإسلاموفوبيا كتعبير عن ((اللاتسامح والتمييز العنصري ضد المسلمين والإسلام)).[٩]

أما على المستوى الواقعي، فالمعروف أن بناء المفاهيم لا يتم بعفوية ولا ببراءة، بل أن المفهوم فى حد ذاته هو عبارة عن شحنة أيديولوجية، وضعت أساساً لخدمة الجهة التى سعت إلى بنائه ونشره، فعند الاخذ بعين الاعتبار أن الدوائر الإعلامية والبحثية والسياسية الغربية هى التى قامت بالتأسيس لمفهوم الإسلاموفوبيا وبنائه، وباعتبار أن هذه الدوائر لم تتمكن من

٧- الإسلاموفوبيا : تحليل نظري معرفي – د. محمدعدار – جامعة بومرداس – الجزائر من كتاب الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة – تحرير د. بوستي توفيق – د.بوقنور إسماعيل د. حميداني سليم – تأليف مجموعة باحثين، الناشر المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والساسية والاقتصادية – برلين ألمانيا - الطبعة الأولى، ص١٢

٨- الإسلاموفوبيا : مصطلح زائف لظاهرة حقيقة ، طيبي غماري، ورقة بحثية من رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) أوراق بحثية، تحرير مدثر محمد آلاء الصديق، منتدى العلاقات العربية والدولية، ص٢٠

٩- Omur Orhum.Intolerance and discrimination against Muslims (Islamophbia) Human Rights.no.3.(2009),p.194

التحرر من تاريخها العنصري الغربي المسيحي الطويل، فإن بناء مفهوم الإسلاموفوبيا فى حد ذاته بناء عنصرياً.(١٠)

فالخوف المرضي من الإسلام هو عبارة عن تصرف أو سلوك يصفه واضعوه بالسلوك المرضي الذى يعبر عن حالة مرضية (باثولوجية) جماعية واجتماعية، تحتاج إلى شكل من أشكال الرعاية والعلاج، وهذا مايجعله مفهوماً عنصرياً.

ومن جهة أخرى، وعند ربط المفهوم بالفوفيا وهى حالة مرضية، فإن السلوك الإسلاموفوبي سيكون نوعاً من المرض، فمن الاحية الاشتقاقية (تأتى فوبيا من الكلمة اليونانية "phobos" التى تعنى الخوف. وهذا ما يقدم الإسلاموفوبيا كرد فعل على خوف من خطر يواجهنا والذى نعتبره خطأ أو صواباً، خطراً موضوعياً. فى الحقيقة تمثل الفوبيا شكلاً من الباثولوجية الاجتماعية).

إن اللفظ اليوناني phobos يحيل على الخوف اللاشعوري واللامبرر، واستناداً لهذا يمكن القول بأن الإسلاموفوبيا خوف لا شعوري ولامبرر ورفض عشوائي للإسلام.(١١)

هذا المعنى كفيل وحده برفع المسؤولية عن الجانى الذى يمارس السلوك الإسلاموفوبي ويحول الضحية إلى جاني، فالممارسة الإسلاموفوبية هى ممارسة مرضية تدل على خلل جماعي واجتماعي يحتاج إلى التكفل به، من خلال إعادة النظر فى المضامين التربوية الاجتماعية التى يجب أن تعمل على تنمية روح التسامح والتعايش.(١٢)

نظرة الإعلام الغربي للإسلام : يشكل الإسلام منظومة حضارية إنسانية، أحد أبرز هواجس الغرب منذ تفكك الاتحاد السوفيتى، كما أن ظهور الإسلام على الساحة السياسية والفكرية والثقافية داخل المعاقل والأوساط الغربية ذاتها، جعل منه العدو الاكبر نظراً إلى ما يمثله من جاذبية وتأثير بالغين مما دفع الغرب إلى البحث عن آليات وسبل لتشوية صورة الإسلام والقيام بحملات تمييع الحقائق المرتبطة بالدين الإسلامي وتزييفها.(١٣)

١٠- الإسلاموفوبيا : مصطلح زائف لظاهرة حقيقة، طيبي غماري – ورقة بحثية من رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) أوراق بحثية، ص٢١

١١- الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة، ص ٣٤

١٢- الإسلاموفوبيا : مصطلح زائف لظاهرة حقيقة ، طيبي غماري – ورقة بحثية من رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) أوراق بحثية، ص٢٣

١٣- الإسلام و الإعلاموفوبيا - الإعلام الغربي والإسلام : تشويه وتخويف - الدكتور المحجوب بن سعيد دار الفكر- دمشق - برامكة، الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م ، ص ٨٨

المطلب الثانى
أسباب الظاهرة

أسباب الظاهرة :

١- **الإتهام المتبادل :** عادة ما تناقش مسألة الإسلاموفوبيا بين المسلمين والغربين بمنطق الدجاجة والبيضة، من ولد الآخر أولاً؟ فالمسيحيون يعتبرون أن الإسلاموفوبيا مجرد رد فعل على إرهاب المسلمين، وبالتالى من حق المسيحين حماية أنفسهم من هذا الخطر الإسلامي.

ومن جهتهم يعتبر المسلمون أن الإرهاب الإسلامي ليس إلا رد فعل على الإسلاموفوبيا المتجذرة فى الفكر الديني المسيحي، إلا أن واقع الأمر يشير إلى أن "الإسلاموفوبيا استعملت كغطاء للعنصرية ومعادة الأجانب".(١٤) إذن الإسلاموفوبيا : تمويه غربي لعلاقة عنصرية.

٢- **نظرية صراع الحضارات :** إذ ترى النظرية أن الحضارة الإسلامية هى البديل الوحيد للشيوعة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والعدو المقبل للغرب. وقد استند "صموئيل هنتغتون" فى توقعاته إلى إحصائيات مهولة نشرت فى الولايات المتحدة الأميريكية والدول الأوروبية أشرت إلى سرعة تنامي اعداد المسلمين وظهور قواتهم بشكل بارز داخل الاوساط الغربية ذاتها. ومن تلك الإحصائيات ما نشرها الفاتيكان عام ١٩٨٥م حيث ذكر لأول مرة فى التاريخ أن عدد المسلمين فاق عدد الكاثوليك.(١٥)

إن ظاهرة صنع صور مسيئة للإسلام والمسلمين فى الغرب ذات جذور تاريخية وامتدت لقرون عديدة، ابتداء من المرحلة الصليبية خلال القرون الوسطى ومرورا بالمرحلة الاستشراقية، إذ يمكن القول بأن هذه الظاهرة قد استأثرت بها وسائل الإعلام الغربية منذ العقد الأخير من القرن العشرين.

ويستمر انتشار وتطور الأفكار العنصرية المعادية للإسلام وللحضارة الإسلامية من قبل علماء الغرب، وعلى رأسهم "صمويل هانتنجتون" من خلال مؤلفه الشهير "" صدام الحضارات"" الذى يحمل أفكاراً عنصرية خطيرة مرتكزاً على قناعات "برنارد لويس" صاحب المقال الشهير "جذور الغضب الإسلامي" حيث تحثُ الأفكار التى طرحها هانتنجتون على محاربة كل الحضارات، فليست المشكلة بالنسبة للغرب الأصولية الإسلامية، بل الإسلام ذاته، فهو حضارة محتلفة. أما "برنارد لويس" من جهة ثانية، فيرى الإسلام والمسيحية دينان لا يلتقيان أبداً، والسبب يكمن فى أن كلاهما يسعى إلى نشر دعواه المختلفة فى العالم كله وكل ذلك يؤدى إلى تنامي الصراع والعداء بينهما.(١٦)

٣- **وجود صورة قبيحة للإسلام** : فهذه الظاهرة تمكنت من نقل صور التشوية والتمييع من بطون الكتب والدراسات الاستشراقية إلى أعمدة الصحف وشاشات التلفاز، فلا يوجد فى الغرب من صور للإسلام غير الصور النمطية العنصرية واللقطات الإعلامية السلبية.

١٤- الإسلاموفوبيا : مصطلح زائف لظاهرة حقيقة ، طيبي غماري – ورقة بحثية من رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) أوراق بحثية، ص٣٠

١٥- الإسلام و الإعلاموفوبيا – الإعلام الغربي والإسلام : تشويه وتخويف، ص ١٠٦

١٦- الإسلاموفوبيا والإرهاب : جدلية التأثير والتأثر – أ. هشام داود الغنجة ، أ. جميلة سرنيح – من كتاب الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة – تحرير / د. بوستي توفيق – د.بوقنور إسماعيل د. حميداني سليم – تأليف مجموعة باحثين ، الناشر المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والساسية والاقتصادية – برلين ألمانيا - الطبعة الأولى، ص ٨١

فوسائل الإعلام الغربية تحولت إلى آلة لتوجيه وعى الجماهير فى هذه المجتمعات، فى إطار استراتيجية لا تترك مساحة لحرية الفكر والاكتشافات، وإنما تمعن بأساليبها المتطورة فى نشر قوالب إدراكية يتم تشكيليها وصناعتها داخل أوساط النخبة وجماعات الضغط والحكومات، وبعض رجال الكنيسة والمؤسسات التابعة للحركة الصهيونية العالمية.
ونتيجة لذلك أصبح الرأى العام الغربي يخلط فى تصوراته بين الإسلام الصحيح وبين الاتجاهات التى تلجأ إلى العنف واستخدام القوة، كما أصبح ينعت الإسلام بالإرهاب والتخلف انطلاقاً من تصرفات مشينة لبعض أتباعه فى العالم الإسلامي وداخل المجتمعات الغربية نفسها.(١٧)

٤- مقولة الخطر الإسلامي الناجم عن تزايد عدد المسلمين : إذ أصبحت تشكل عقدة خوف من الإسلام، امتدت آثارها بشكل سلبي واضح إلى الأوساط السياسية والثقافية والإعلامية. كما أصبحت ورقة رابحة تستخدم للتخويف من الإسلام كلما برز الشأن الإسلامي على الساحة الدولية بصورة لافتة، أو ظهر مؤشر من مؤشرات قوة الإسلام وعظمته وسرعة انتشاره.(١٨)

٥- المفكرين والمستشرقين ذوى النظرة العدائية : ومن أبرز هؤلاء الأمريكى "برنارد لويس" المعروف بموافقه المناوئة للإسلام، الذى ألقى نهاية عام١٩٩٠م محاضرة فى موضوع (الأصولية الإسلامية) تنبأ فيها بحتمية الصراع بين الإسلام والغرب. مثيراً زوبعة من التخويف والتحذير من الإسلام. وعزا أسباب ذلك الصراع إلى جوهر دعوة الإسلام التى ترفض الخر وتبغى الاختلاف وتعزز الرؤية الاستبدادية وتبعث على الخوف والحذر. ونجد الكاتب الجزائي الفرانكفوني "بوعالم صنصال" وهو الذى يسهم فى نشر المشاعر المعادية للإسلام. إن عنوان آخر كتاب صدر له فى ألمانيا عام ٢٠١٣ هو "مجانين الله" كيف تغزو الإسلاموية العالم.(١٩)
كما كتب الاسكتلندى "وليام موير" William MUIR أحد كبار المستشرقين واصفاً فى عبارات حادة المسلمين والإسلام : إن سيف محمد والقرآن هما أكبر عدو للحضارة والحرية والحقيقة، لم يسبق أن شهد العالم لهما مثيلاً، وقد تجلى فى قوله هذا نفس التوجه الذى نهجه كثيراً من أقرانه من المستشرقين الذين ربطوا الإسلام بالسيف والقتل.
ولعل من بين الذين دراسوا الإسلام من فلاسفة الغرب، ممن خلصوا فى النهاية إلى ان الإسلام دين " وحشية وبربرية وإرهاب" المفكر الفرنسي مونتسكيو Montesquieu الذى ذكر فى أحد كتاباته بأنه : لمن السيء للبشرية، أن يظهر دين ما عن طريق غازٍ ومحتل. ووصف من جهة أخرى أحد الآباء الروحيين للثورة الفرنسية فولتير Voltaire محمداً – صلى الله عليه وسلم والدين الإسلامي بأبشع النعوت فى قوله : محمد المتعصب، القاسي المخادع، ولعار الرجال العظيم تحول من صبي تاجر ليصبح نبياً ومشرعاً وملكاً.(٢٠)

١٧- الإسلام و الإعلاموفوبيا – الإعلام الغربي والإسلام : تشويه وتخويف، ص ٩٠
١٨- الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، د . حسن عزوزي - منشورات ألوان المغربية، الدار البيضاء الطبعة الأولى ٢٠٠٢ ص١١ – مشار إليه المرجع السابق، ص١٠٦
١٩- خطاب ضد الإسلاموفوبيا فى المانيا والغرب مناهضة بيغيدا – تأليف ستيفان فايدنر ، ترجمة رشيد بوطيب، منتدى العلاقات العربية والدولية. –الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ١٩
٢٠- الإسلاموفوبيا والإرهاب : جدلية التأثير والتأثر – أ. هشام داود الغنجة ، أ. جميلة سرنيح – من كتاب الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة، مرجع سابق ، ص٨١

٦- مفهوم نظرية المؤامرة : يرى حسن حنفي أن التامر موجود فى كل مكان ... القوى الكبري تتامر فيما بينها، وتتآمر على القوى الصغري، وهو شيء وارد وجزء من اللعبة السياسية.[٢١]

فى كتاب "حرب الخليج دفعتنى إلى الاستقالة" يري "جان بيير شوفنمان" الذى استقال احتجاجاً على الحرب ضد العراق ١٩٩١، أنه : فى كل مرة أراد العرب استدراك تخلفهم ولأسباب وجيهة أن يصعنوا وحدتهم، كانوا يجدون الغرب على طريقهم يمنعهم من تحقيق أهدافهم، كما حصل غداة الحرب العالمية الأولى (مؤامرة سايكس- بيكو) وأن يبقوهم داخل حدودهم المصطنعة، أو ليردهم نحو الماضى، بما فى ذلك استخدام السلاح.[٢٢]

٧- الرغبة المتواصلة لدى الغرب فى تاكيد ذاته فى مواجهة الشرق : لاحظ المؤرخ الفرنسي "كلود كاهين" فى رده عن التساؤل عن أسباب الخوف من الإسلام، أن أحد عوامل الإقبال الكبير على كتابة تاريخ الحروب الصليبية، يرجع إلى ثمة رغبة متواصلة لدى الغرب فى تأكيد ذاته فى مواجهة الشرق والعرب والمسلمين، وأن عودة الغرب إلى هوية العصور الوسطى ومنطقها أقوى مما هو الحال فى بعض بلدان الشرق الإسلامي، وقد تزايدت هذه العودة بعد زوال المعسكر الاشتراكي، وبرزو حاجة دول الحضارة الغربية إلى خصم جديد تتهرب من خلاله من حل مشاكلها المزمنة، وهذا الخصم الجديد هو العرب والمسلمين عامة.

٨- وجود بعض المتطرفين المسلمين : يقول أحد الناشطيين الفرنسيين ذو الأصول العربية (إنهم أعداء الإسلام يحاولون هدم الإسلام أين هى المساواة؟؟ يريدون رفع الحجاب والنقاب عن فتياتنا .. إنهم دائماً ورائنا ليبعدونا عن الدين).

تعكس توجيهات عدة شخصيات الناشطين وتدفعهم إلى التطرف والإرهاب، ومن جهة أخرى نجد بعض الناشطين الإسلاميين خصوصاً السلفيين إذ يرون فى أنفسهم جماعة المسلمين الطاهرين والملتزمين أما الأخرون فمنشقون وضالون وخاطئون.

بالإضافة إلى فكرة (أرض الجهاد) وهى إحدى الأفكار والمعتقدات التى يؤمن بها الإسلاميون الفرنسيون المتطرفون، كما هو حال باقى الإسلامويين. وإذا رجعنا إلى التاريخ نجد أن هناك أراضي عدة للجهاد مثل أفغانستان وباكستان وأوزبكستان والبوسنة وطاجكستان والعراق واليمن.... وغيرها، وحاليا سوريا المسرح الحالى لنبوءة (نهاية العالم). يقول الناشط الفرنسي من أصل عربي المدعو ياسين "" فى القرآن حدثنا النبي أن الشام هى الأرض المباركة، إذ روى لنا أن الحرب ستكون هناك وهى إحدى علامات عودة الخلافة. ستكون الشام الشرارة التى ستوقد ضياء الخلافة.[٢٣]

٢١- حوار مع حسن حنفي، جريدة الحياة اللندنية، فى ١٠-٥-٢٠٠٢، مشار إليه كتاب الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة، مرجع سابق، ص٢١

٢٢- الإسلاموفوبيا : تحليل نظري معرفي، د: محمد عدار من كتاب الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة، تحرير / د. بوستي توفيق – د.بوقنور إسماعيل – د. حميداني سليم – تأليف مجموعة باحثين ، الناشر المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والساسية والاقتصادية – برلين ألمانيا - الطبعة الأولى. ص ٢٢

٢٣- الإسلاموية المتطرفة فى أوروبا – دراسة حالة الجهاديين الفرنسيين فى الشرق الأوسط – د. وليد كاصد الزيدى – المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- الطبعة الأولى – بيروت – كانون الثاني يناير٢٠١٧م، ص١١٦

ونجد الآن تنظيم الدولة الإسلامية (داعش وما تفعله من جرائم بأسم الدين الإسلامي، حتى وإن كان هنا بعض الأدلة أن التنظيم صناعة صهيوأمريكية، إلا أن جرائم ذلك التنظيم تلصق بالإسلام والمسلمين).. نعم لابد أن نعترف أن بعض المتشددين المتطرفين من جهلاء هذا الدين، والمأجوريين عليه يقومون بتشويه صورته السمحة الجميلة الداعية إلى نبذ التطرف والإرهاب، وتدعوا المجتمع الدولى دولاً وأشخاص إلى المحبة والسلام، ونبذ العنصرية وقبول الآخر واحترام الأديان والثقافات والايمان بأن الدين لله، ولا قيد على عقيدة وفكر الآخر، وأن الإرهاب مرفوض من قبل جميع الأديان.

المطلب الثالث
وسائل الظاهرة

وسائل الظاهرة :

أكدت دراسات عديدة أن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة فى الغرب ساهمت بفعالية فى تثبيت الصورة النمطية والاختزالية والسلبية التى رسمها الاستشراق للإسلام والمسلمين ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر، وذلك من خلال السنيما والتلفاز.

فى أمريكا وأوروبا تم اكتشاف أهمية توظيف المؤسسات الإعلامية ولا سيما السنيما فى تشوية صور الإسلام والسلمين. وتزعم هذه العملية اليهود الذين اسسوا هوليود وباقى الاستوديوهات الامريكية السينمائية الكبري، والشركات العالمية الشهيرة مثل كولومبية(Columbia) وبراماونت(Paramount) وورنر براذرز(Warner Brothes) ويونيفرسال(Univew).

وهكذا كان إنتاج الأفلام وتوزيعها فى هوليود تحت السيطرة الكاملة لليهود. وظلت تشوه صورة العرب والمسلمين وتقدمهم فى قوالب نمطية تصفهم بأنهم برابرة، وهمج، ورعاع، وقذرون، وجبناء، فى مقابل تصوير الإنسان العربي واليهودي على أنه أكثر تمدناً وتسامحاً وشجاعة. لقد كان عدد الافلام التى نشرت الخوف من الإسلام فى الولايات المتحدة الأميريكية كبيراً، رصده الباحث "جاك شاهين" فى دراسته حول (العرب الأشرار : طيف شوهت هوليود شعباً).

ومن بين هذه الأفلام على سبيل المثال لا الحصر : فيلم الهجرة أو الخروج١٩٦٠(Exodus)، والاحد الأسود ١٩٧٧(Black-Sunday)، وقوات دلتا١٩٨٦(Delta Force)، وقواعد الأشتباك (Rules of Engagement)، والنسر الحديدى ١٩٨٦(Iron Eagle)، وغيرها من الافلام التى أنتجتها هوليود وروجتها عبرالعالم. وفى أوروبا واظبت الأشرطة التلفازية والأفلام السينمائية وأفلام الرسوم المتحركة على تقديم صور مغلوطة ومشوهة عن المسلمين.

وخلص الدكتور محمد بشاري فى كتابه صورة الإسلام فى الإعلام الغربي ص ١٣١والدكتور صادق رابح فى مصادر الرؤية الإعلامية الفرنسية للإسلام ص٣٤١ إلى أن محتوى الافلام الأوربية التى تناولت موضع الإسلام والعرب والمسلمين ومضمونها يظهران العرب بشكل ثابت ونمطى فى صورة الجبناء والكسالي، والسذج، وتصور الشخصية المسلمة على أنها :

- شخصية داعرة تعمل على إفساد السياسات الحكيمة للدول الغربية.
- شخصية شهوانية تعشق الشبق الجنسي وتعدد الزوجات وكثرة الأطفال.
- شخصية سطحية تؤمن بالخرافات، ولا تقوى على التفكير العقلاني العلمي.
- شخصية عنيفة تقتل بلا رحمة، وتحمل دائما معها الخنجر أو المسدس.[٢٤]

لقد دأب الغرب على تشويه الإسلام بصور تتضمن رسائل :-

- الإسلام دين عنف وإرهاب وانتشر بالسيف.

٢٤- الإسلام و الإعلاموفوبيا – الإعلام الغربي والإسلام : تشويه وتخويف - الدكتور المحجوب بن سعيد - دار الفكر- دمشق – برامكة ، الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م ، ص٩٤

- الإسلام يضطهد المرأة ويظلمها فى الميراث، والمسلمون يتزوجون بأربع نساء.
- المسلمون يعبدون إلهاً مختلفاً، ولايؤمنون بعيسي عليه السلام.
- الفتوحات الإسلامية مجرد حملات استعمارية.
- الإسلام ضد حرية الاعتقاد، وضد الديمقراطية وحقوق الإنسان.
- الإسلام يعادى الحضارات الأخرى، وضد السامية.
- الإسلام دين وحشي فى تطبيقه للحدود والعقوبات.
- الإسلام يحرم الفنون، فهو دين رجعي.
- محمد رجل شهواني، مقاتل ومؤلف للقرآن.

وأيضاً : [٢٥]

- إن الإسلام ديانة أو ثقافة لم تعرف مرحلة التنوير، وهو ما يعنى أنه مازال يعيش فى مرحلة ماقبل الحداثة.
- لا يعرف الإسلام فصلاً بين الدين والدولة.
- إن الإسلام مسؤول عن الأنظمة التسلطية وخروقات حقوق الإنسان والعداء للديمقراطية فى العالم الإسلامي.
- إن الإسلام واحد لا يتغير. جوهره ثابت فى القرآن والسنة مرة وإلى الأبد، فى استقلال عن المكان والزمان. وعلاوة على ذلك فإنه لا يمكن التفريق بين الإسلام فى ذاته وأيديولوجيا الحركات الإسلامية الساسية، وأن التفريق بينهما يدخل فى إطار الخطابات التبجيلية.
- الإسلام غير قابل للإصلاح. وهو ما يتوافق مع الأطروحة التى تقول بأن الإسلام ديانة جوهرانية لا يمسها التغير. فما يمكن إصلاحه، هو فقط ما يقبل التغير.
- يتطلع الإسلام إلى السيطرة على العالم وأسلمته، ويقوم على تبشير وتدمير أو على الأقل قمع أتباع الديانات الأخرى. إن هذه الأطروحة شبيهة بتلك التى تم نشرها من أجل مواجهة الشيوعية وقبل ذلك من طرف النازيين ضد اليهود.
- إن الإسلام معاد للمرأة وللمثليين الجنسيين إلخ.. وهنا لا يتم البتة التفريق بين الإسلام والعالم والثقافة الإسلاميين.

- إن المسلمين معادون لليهود والسامية، إنهم يريدون تدمير اليهود. وهم قد تعاطفوا مع هتلر فى مسعاه ومازالوا. وهكذا يبدو أن الإسلام ورث الإرث الفاشي المعادي للسامية.
- إن التاريخ الإسلامي ظل دائما محكوما بالعنف، ولم ينتشر الإسلام إلا عبر العنف.(هذا ما قاله البابا السابق فى محاضرة ريغنسبورغ٢٠٠٦).
- إن المسلمين عاجزون عن الاندماج والعيش فى المجتمعات الغربية. فهم بعيدون عن المعرفة وعاجزون عن التعليم.(هذه أطروحة سارازين).
- إن المسلمين، لأسباب دينية أو إثنية لا يمكن مقارنتهم بالأوروربيين، ولا يصلحون لأوروبا. ولهذا لا يمكن القبول بالاتراك داخل الاتحاد الأوروبي.

٢٥- خطاب ضد الإسلاموفوبيا فى المانيا والغرب مناهضة بيغيدا – تأليف ستيفان فايدنر ، ترجمة رشيد بوطيب، منتدى العلاقات العربية والدولية. الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص٤٣-٤٦

**** نماذج ****

كندا : فى ٢٠٢١م شهدت مدينة كندية واقعة قتل متعمد، بدافع الكراهية، والإسلاموفوبيا حيث أفادت الشرطة الكندية أن أربعة أفراد من أسرة مسلمة قتلوا في حادث دهس "متعمد" بشاحنة في مدينة لندن الصغيرة بمقاطعة أونتاريو وأصيب طفل أيضا من الأسرة نفسها. وأوقف رجال الشرطة المشتبه به، وهو شاب في العشرين، بينما قال محقق الشرطة في المدينة إنه "ثمة أدلة على أنه فعل متعمد ومخطط له، سببه الكراهية". وكان رئيس الوزراء الكندي "جاستين ترودو" يدعو في مناسبات مختلفة مواطنيه إلى "الوقوف بشكل علني ضد الإسلاموفوبيا والعنصرية بكل أشكالها". وقال بول ويت المحقق في شرطة مدينة لندن "ثمة أدلة على أنه فعل متعمد ومخطط له، سببه الكراهية.

نعتقد أنه تم استهداف الضحايا لأنهم مسلمون". وأضاف أن الشرطة في لندن، الواقعة على بعد نحو ٢٠٠ كيلومتر جنوب غربي تورونتو، تنسق مع شرطة الخيالة الكندية الملكية بشأن احتمال توجيه اتهامات بالإرهاب.[٢٦]

ألمانيا : لقد كان الرئيس الألماني السابق "كريستيان فولف" الذى يتنمي إلى الحزب المسيحي الديمقراطي، هو ما نطق بالجملة الشهيرة عام ٢٠١٠" الإسلام ينتمي إلى ألمانيا"... أعقب ذلك حملة صحفية متسخة ومكثفة- وخصوصاً فى الإعلام المحافظ والمناصر لإسرائيل المرتبط بمجموعة "سبرينغر" الإعلامية الضخمة - تلك الحملة التى أسهمت فى إرغامه على تقديم استقالته بعد سنة ونصف من تصريحه السابق.

ويمكن اعتبار هذه الحملة أيضا جزءاً من تاريخ الإسلاموفوبيا فى ألمانيا.[٢٧] إنه لمن سخرية التاريخ أن المستشارة "آنغيلا ميركل" نفسها التى تنتمي إلى الحزب نفسه الذى ينتمي إليه فولف والتى دفعت فولف إلى الاستقالة، هى من تصرح رداً على حركة بيغيدا العنصرية قائلة "الإسلام ينتمي إلى ألمانيا - وهذا رأيي أيضا" وبالمناسبة بيغيدا هو تصغير لأسم أطول هو : "الوطنيون الاوربيون ضد أسلمة الغرب" إن العداء للإسلام يظهر فى اسم الحركة نفسه. لكن نشوء بيغيدا لا يرتبط فقط، كما أعتقد، بعوامل ألمانية داخلية، لكن أيضا بالتطورات على الساحة السياسية الدولية، وخصوصاً فى العالم العربي الإسلامي.

حديثاً : تحالف ٤٧ مؤسسة ألمانية ضدّ عداء الإسلام والمسلمين[٢٨]

دعا المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، إلى جانب عدد من المؤسسات المدنية المنضوية تحت رابطة "التحالف ضدّ الكراهية"، أطياف المجتمع الألماني كافة إلى المشاركة المكثفة في فعاليات الأسبوع الوطني لمواجهة ظاهرة عداء المسلمين في ألمانيا.

وستبدأ فعاليات هذا الأسبوع الّذي ينظم هذا العام تحت شعار (لا مكان للكراهية) اليوم الخميس، وتنتهي في الفاتح جويلية في ذكرى استشهاد مروة الشربيني الّتي قُتِلَت مطلع جويلية ٢٠٠٩م، وهي حامل في شهرها الثالث بثماني عشرة طعنة أمام زوجها، وطفلها

٢٦- كندا: مقتل أربعة أفراد من عائلة مسلمة في حادث دهس "متعمد" بشاحنة، خبر فى قناة FRANCE24، بتاريخ ٢٠٢١/٦/٧م على الانترنت

٢٧- خطاب ضد الإسلاموفوبيا فى المانيا والغرب مناهضة بيغيدا – تأليف ستيفان فايدنر، ترجمة رشيد بوطيب، منتدى العلاقات العربية والدولية.الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص١١

٢٨- منشور على صفحة موقع مجلس مسلمي أوروبا، بتاريخ ٢٠٢١/٦/٢٤م

أثناء الإدلاء بشهادتها في محكمة دريسدن بخصوص دعوى رفعتها على الجاني، وهو عنصري ألماني كان قد اتهمها بالتطرف والإرهاب إثر خلاف في منتزه أطفال.
ولأوّل مرّة ستقوم مؤسسة (رابطة التحالف ضدّ الكراهية) بتوثيق هذه الاعتداءات العنصرية بطريقة موحّدة على الصعيد الاتحادي، وجعلها في متناول الجميع عبر بوابة رقمية جديدة. وقد أصبح الآن بإمكان الضحايا، والشّهود، الإبلاغ عن الاعتداءات المعادية للمسلمين عبر الإنترنت.
وتنضوي تحت "رابطة التحالف ضدّ الكراهية" حاليًا ٤٧ مؤسسة تشكّل تحالفًا اجتماعيًا واسعًا ضدّ عداء الإسلام وعنصرية عداء المسلمين. وقد أدلى الأمين العام للمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، عبد الصمد اليزيدي، بتصريح صحفي في هذا الصّدد، أكّد فيه أنّ المسلمين ومساجدهم، باتوا يتعرّضون يوميًا للاعتداءات العنصرية على نحو مثير للقلق. وأشار اليزيدي إلى أنّ آخر الإحصاءات الّتي أدلت بها الحكومة الألمانية في هذا الخصوص لسنة ٢٠٢٠م أظهرت أنّ نسبة الاعتداءات على المسلمين بدافع الكراهية بلغ ٩٥٠ حالة مسجلة، أي ما يناهز ثلاث حالات اعتداء يوميًا دون احتساب الحالات الّتي لم يتمّ الإبلاغ عنها بسبب الخوف أو الخجل. وأوضح أنّه على الرغم من ذلك، فإنّ كثيرًا من السياسيين ما زالوا يتجاهلون هذه الظاهرة الخطيرة الّتي تزداد تفاقمًا يومًا بعد يوم، ناهيك عن تكليف أنفسهم عناء البحث عن حلول ناجعة لها.
وقال عبد الصمد: "ما انفك المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا منذ سنوات عديدة يطالب الحكومة بتكليف مفوض لديها يعنى بمكافحة عنصرية عداء المسلمين"، مشيرًا إلى الاعتداءات العنصرية المتتالية الّتي منيت بها ألمانيا مؤخّرًا كالهجوم الّذي شهدته مدينة هاناو، وهاله وغيرها، إلّا أنّ هذا النداء لم يجد آذانًا صاغية بعد.

فرنسا : صرحت السيدة إليسا راي (Elissa Ray) المتحدثة باسم لجنة " مناهضة الإسلاموفوبيا فى فرنسا قائلة : عبر عشر سنوات كاملة، لاحظنا ارتباطاً كاملاً وثيقاً بين خطاب الكراهية للإسلام والمسلمين سياسياً وإعلامياً وبين أعمال العنف التى تمارس ضد المسلمين.
ويعنى هذا أنه كلما روجت أجهزة الإعلام والساسة لهذه الكراهية العنيفة ضد المسلمين، كلما شعر المواطنون بأنهم أحرار فى ممارسة التمييز والعنف ضد المسلمين.[٢٩]

هولندا : نجد رئيس حزب الحرية الهولندي والنائب فى البرلمان الهولندى "خيرت فليدرز Geert Wilgers دعا عبر رسالة مفتوحة نشرتها صحيفة "دى فولكسرانت De Volkskrant" تحت عنوان "امنعوا القرآن" إلى حظر القرآن فى هولندا، معتبراً أنه لا مكان لهذا الكتاب القاسي والخطر، مقارناً بينه وبين كتاب كفاحي لهتلر، وصرح فى مقابلة تليفزيونية بشأن "ظاهرة الإسلاموفوبيا" قائلاً فى رأيي الإسلام إيديولوجيا فاشية، والقرآن كتاب فاشي.[٣٠]

٢٩- الإسلاموفوبيا والإرهاب : جدلية التأثير والتأثر – أ. هشام داود الغنجة ، أ.جميلة سرنيح – من كتاب الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة، مرجع سابق، ص ٨٦
٣٠- بناء الخريطة الإدراكية للإسلام والمسلمين فى الغرب : الإسلاموفوبيا واقعا – د/ حميداني سليم وأ.بن سعدون اليامين - من كتاب الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة، مرجع سابق، ص٩٩

**** فيسبوك سمح لجماعة هندوسية متطرفة ببث خطابها ضد مسلمي الهند شهورا رغم حظرها.**

قالت مجلة تايم (Time) الأميركية إن شركة فيسبوك تركت عشرات الصفحات التابعة لجماعة هندوسية متطرفة تبث خطابها المعادي للأقلية المسلمة في الهند شهورا، رغم أن الموقع حظر "دون إثارة ضوضاء أو نشر بيان" حسابات الجماعة الرئيسية في سبتمبر/أيلول الماضي بسبب انتهاكها سياساته.

وذكرت تايم -في تقرير مطول- أن الشركة لم تقم بإغلاق تلك الصفحات البالغ عددها ٣٠ صفحة سوى في أبريل/نيسان الماضي، بعد أن كشفت المجلة أن تلك الحسابات التابعة لجماعة "ساناتان سانستا (Sanatan Sanstha) "الهندوسية المتطرفة التي يتابعها أكثر من ٢,٧ مليون شخص، ما زالت تعمل بكل حرية وتبث رسائلها المعادية للمسلمين.

وأكدت أن تلك الحسابات شاركت بانتظام منشورات تحض على الكراهية ومعلومات مضللة عن مسلمي الهند الذين تصورهم بأنهم "وحوش خضر ذوو مخالب طويلة.

وضع الأقليات المسلمة فى مواجهة ظاهرة الإسلام فوبيا :

يقول محمد أسد (ليوبولدفايس) المفكر النمساوى فى كتابه (الطريق إلى مكة) "الآراء الشائعة فى الغرب عن الإسلام تتلخص فيما يأتى إنحطاط المسلمين ناتج عن الإسلام، وبمجرد تحررهم عن العقيدة الإسلامية وتبنى مفاهيم الغرب وأساليب حياتهم وفكرهم فإن ذلك سيكون أفضل لهم وللعالم.إلا أن ما وجدته من مفاهيم وما توصلت إلى فهمه من نتائج الإسلام وقيمه أقنعنى أن هذه الآراء الشائعة لدى الغرب ليست إلا مفهوماً مشوهاً عن الإسلام .... اتضح لى أن تخلف المسلمين لم يكن ناتجاً عن الإسلام، ولكن لإخفاقهم فى أن يحيوا كما أمرهم الإسلام.. لقد كان الإسلام هو ما حمل المسلمين الأوائل إلى ذرى فكرية وثقافية سامية "(٣١)

** والذى يؤكد أن ظاهرة الإسلاموفوبيا تم اصطنعها لتشويه صورة الإسلام وخوف الغرب من تحول أوروبا إلى قارة إسلامية- أن نجد علماء ومفكرين غربيين تكلموا عن الإسلام وأوضحوا صورته على عكس ما تظهره هذه الظاهرة التى هى سلاح فتاك من أسلحة الغرب وأقوى أساليبه العنصرية ضد الإسلام وأتباعه.

يقول غوستاف لوبون : والإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والإحسان والتسامح.

ويقول العلامة الفيلسوف بيلُ ردا على تحلل محمد وبطشه : بعد أن أثبت أن ما لأمر النبى بالتزامه من قيود الصيام وتحريم الخمر ومبادئ الاخلاق هو أشدد مما أُمِرَ به النصاري : إن من الضلال، إذن أن يُعزى انتشار الإسلام السريع فى أنحاء الدنيا إلى أنه يُلقى على كاهل الإنسان ما شق من التكاليف والأعمال الصالحة، وأنه يبيح له البقاء على سيء الأخلاق، وقد دون "هونتجر" قائمة طويلة بالاخلاق الكريمة والآداب الحميدة عند المسلمين فأرى، مع

٣١- الأقليات المسلمة فى مواجهة فوبيا الإسلام، الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين، المكتب التعاونى للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمدينة المنورة ١٤٣٥هـ، ص٢٢

القصد فى مدح الإسلام، أن هذه القائمة تحتوى أقصى ما يمكن أن يؤمر به إنسان من التحلى بمكارم الأخلاق والابتعاد عن العيوب والآثام. [٣٢]

ويقول : وأحسن العرب سياسة سكان إسبانية كما أحسنوا سياسة أهل سوريا ومصر، فقد تركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم وحق المقاضاه إلى قضاة منهم، ويقول : واستطاع العرب أن يحولوا إسبانية مادياً وثقافياً فى بضعة قرون، وان يجعلوها على رأس جميع المماليك الأوروبية، ولم يقتصر تحويل العرب لإسبانية على هذين الأمرين، بل أثروا فى أخلاق الناس أيضاً، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية، وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذى هو أثمن صفات الإنسان.[٣٣]

ويقول : فالحق أن الأمم لن تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا دينا مثل دينهم. وما جهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة فى اتساع فتوحهم، وفى سهولة اعتناق كثير من الامم لدينهم ونظمهم، ولغتهم التى رسخت، وقاومت جميع الغارات، وبقيت قائمة حتى بعد توارى سلطان العرب عن مسرح العالم.[٣٤]

٣٢- حضارة العرب – غوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر، الناشر - مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، ص ١٣٢ :١٣٣

٣٣- حضارة العرب، غوستاف لوبون، مرجع سابق ، ص٢٨٠ : ٢٩٠

٣٤- حضارة العرب، مرجع سابق، ص٦٣٠

المبحث الثاني
أيديولوجية الإسلام وموقفه من ظاهرة الإسلام فوبيا

ويقصد بمصطلح الأيديولوجية :مجموعة الأفكار والأراء والمعتقدات والفلسفات التى يتبناها ويعتنقها جماعة ما أو حزب أو مجتمع وتترجم هذه الأفكار والمعتقدات فى شكل تصرفات تتجه لتحقيق هذه الأفكار والمعتقدات.

وهذا المصطلح بالنسبة للإسلام يعنى عالمية الإسلام، وهذه العالمية تفرض على أمته المعرفة بالآخر، والوعى بما لديه من عقائد و "أيديولوجيات" ومواريث فكرية وثقافية وهذه العالمية اتخذت الوسطية الإسلامية منظاراً لها لا نستطيع بدونه تبين حقيقة الإسلام ومنهاجه فى مختلف الميادين.[٣٥]

لذلك كان لزاماً علينا أن نقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب أساسية وهى :-

المطلب الأول : نتعرض فيه لحقوق الأقليات .

المطلب الثانى : فى معاملة الأسرى .

المطلب الثالث : المساواة فى الإسلام .

٣٥- الإسلام فى مواجهة التحديات، مرجع سابق، ص٨١

المطلب الأول
حقوق الأقليات

انطلاقاً من القرآن الكريم، يرى المسلمون ويريدون هذا العالم (منتدى) ثقافات .. وحضارات وملل .. وفلسفات .. وأمم .. وشعوب وقبائل .. وأجناس .. ولغات وقوميات.
ويريد المسلمون لأعضاء هذا (المنتدى الإنسانى) (التفاعل) فيما هو مشترك إنسانى عام (والتمايز) فيما هو من الخصوصيات الثقافية والعقدية والفلسفية. وذلك لتحقيق مقاصد التعارف والتعايش والتعاون على البر والتقوى فى القيام برسالة الاستخلاف الإلهى للإنسان كى يعمر هذه الحياة الدنيا، طلباً للسعادة الأخروية فيما وراء هذه الحياة.
هكذا يرى المسلمون العالم، ويريدونه، انطلاقاً من الآيات المحكمة فى القرآن الكريم. فالآيات التى تمجد الإنسان وتعلى مرتبته فوق كل المخلوقات، تتناول الإنسان لذاته لا لاعتقاده من حيث هو تكوين بشرى، وقبل أن يصبح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً أو بوذياً، وقبل أن يصبح أبيض أو أسود أو أصفر.(٣٦)
وفى هذا الصدد يقول الأستاذ فهمى هويدى: " ليس صحيحاً على الإطلاق أن تلك الحفاوة القرآنية من نصيب المسلمين دون غيرهم كما يتصور البعض، ذلك أن النصوص القرآنية شديدة الوضوح فى هذه النقطة بالذات، فهى تارة تتحدث عن "الإنسان" وتارة تتحدث عن "بنى آدم" ومرات آخرى توجه الحديث إلى "الناس" وهذا التعميم لا تخفى دلالته على أى عقل منصف مدرك للغة الخطاب فى القرآن الكريم، التى تستخدم موازين للتعبير غاية فى الدقة، تحسب بها متى يكون الخطاب للإنسان وللناس عامة ومتى توجه الكلام للمؤمنين والمسلمين قبل غيرهم.(٣٧)
فالواحدية والأحدية هى للذات الإلهية، وفى هذا (المنتدى الإنسانى) للحضارات العالمية ويرى المسلمون – انطلاقاً من القرآن الكريم أن التكريم الإلهى إنما هو لمطلق الإنسان. لكل بنى آدم، وليس وقفاً على جنس أو لون أو حضارة أو ثقافة أو أبناء دين من الأديان يقول الله سبحانه وتعالى : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"(٣٨)
وفى التسابق والتدافع على طريق التقدم والارتقاء تكون التقوى وليست الصفات اللصيقة العنصرية – هى معيار التفاضل بين الأفراد والجماعات يقول تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"(٣٩)
تلك هى الفلسفة القرآنية، المكونة لرؤية المسلمين للكون والعالم والإنسانية والوجود... فهم يرون العالم ويريدونه منتدى أمم وشعوب وثقافات وحضارات وشرائع، تتوازن بها "المصالح" لا "القوى" ووتتعارف وتتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

٣٦- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامي – د. إدوار غالي الدهبي ، الناشر مكتبة غريب – الطبعة الأولى ١٩٩٣، ص٢٠
٣٧- مواطنون لا ذميون – د. فهمي هويدى – دار الشروق - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م- الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. ص٨١
٣٨- سورة الإسراء : آية ٧٠
٣٩- سورة الحجرات : آية ١٣

وبسبب من هذه الفلسفة – وثمرة من ثمراتها – لا يتحقق الإيمان الإسلامى إلا إذا أمن المسلم بكل الكتب السماوية، وبكل النبوات والرسالات والشرائع تتالت وتوالت على امتداد تاريخ الإنسان.(٤٠)

الفرع الأول
المرأة فى الإسلام

أما المرأة فقد رفع الإسلام مكانتها عاليا، وهيأ لها فى المجتمع الإسلامى منزلة ممتازة يدركها كل من فهم التفكير الإسلامى. فالإسلام منح المرأة منذ أربعة عشر قرناً مالم تمنحه المرأة الغربية إلا بعد ذلك بعدة قرون أو مالم تمنحه هذه المرأة إلا فى هذا القرن الذى نعيش فيه، أو ما لا تزال المرأة الغربية تصارع الآن للحصول عليه.

** فالحضارة الرومانية(٤١) قضت أن تكون المرأة رقيقا تابعا للرجل، لها حقوق القاصر أو لا حقوق لها على الاطلاق، وقد اجتمع فى روما مجمع كبير وبحث فى شؤون المرأة فقرر أنها كائن لا نفس له، وأنها لهذا لن ترث الحياة الاخروية، وأنها رجس، يجب ألا تأكل اللحم وألا تضحك، وعليها ألا تتكلم، ولمنعها من الكلام وضعوا على فمها قفلا من الحديد.

** وكانت المرأة فى أثينا تعتبر من سقط المتاع، فكانت تباع وتشترى، وكانت تعد رجسا من عمل الشيطان.

** وقضت شرائع الهند القديمة أن الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار خير من المرأة، وكان حقها فى الحياة ينتهى بانتهاء أجل زوجها الذى هو سيدها ومالكها، فإذا رأت جثمانه يحرق ألقت بنفسها فى نيرانه، وإلا حاقت عليها اللعنة الأبدية.

** أما رأى العهد القديم فى المرأة فقد وضحه سفر الجامعة : درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمر من الموت المرأة التى هى شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود.(٤٢)

** أما الكنيسة الكاثوليكية فإن الكاتب الدانمركى Wieth Kondsen يشرح اتجاهها نحو المرأة بقوله : خلال العصور الوسطى كانت العناية بالمرأة الأوربية محدودة جدا تبعا لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذى كان يعد المرأة مخلوقا فى المرتبة الثانية.

** وحال العرب كان يغلب عليه السخط ضد المرأة، ذلك السخط الذى عبر عنه القرآن بقول الله سبحانه وتعالى : وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩.(٤٣)
وهذه حال المرأة فى العصور القديمة.

** أما العصور الحديثة نجد فرنسا عقد اجتماع سنة ٥٨٦م يبحث شأن المرأة وما إذا كانت تعد إنساناً أو لا، وبعد النقاش قرر المجتمعون أن المرأة إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل.
وظلت المراة محرومة من أبسط الحقوق حتى صدر قانون ١٩٣٨.

٤٠- فى فقه المواجهة بين الغرب والشرق، د. محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ص ٦,٥

٤١- مقارنة الاديان – الإسلام ، د – أحمد الشلبي، مرجع سابق، ص ٢٠٦ : ٢١٣

٤٢- الإصحاح السابع، الفقرتان ٢٥-٢٦

٤٣- سورة النحل : آية ٥٨-٥٩

** وفى إنجلترا حرم هنري الثامن على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدس، وظلت النساء حتى سنة ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين، وظللن حتى سنة ١٨٨٢م ليس لهن حقوق شخصية.

** أما الإسلام قد بكّر فقرر المساواة بين الرجل والمرأة فى كل شىء، ولم يستثن من ذلك إلا ما دعت الحاجة الواضحة إلى استثنائه، فنجد الإسلام قضى على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة فى القيمة الإنسانية المشتركة، كما قضى على مبدأ التفرقة بينهما أمام القانون وفى الحقوق العامة. يقول الله سبحانه وتعالى : لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ [٤٤] وقوله سبحانه وتعالى : لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧.[٤٥]

وهكذا نجد هذه الآيات وسواها تجمع الذكر والأنثى تحت حكم واحد، وتقضى قضاء مبرما على التفرقة بين الرجل والمرأة.

الفرع الثانى

الأقليات الدينية وموقف الإسلام منها

ماحكم المسلمون بلدا إلا وأبقوا على ما فيه من ديانات وملل، وما حكم غير المسلمين بلدا إلا وألغوا كل اعتقاد آخر ولم يبقوا فيه إلا على دينه أو مذهبهم، تلك شهادة ينطق بها سجلات علاقات المسلمين بغيرهم على مدار التاريخ.ذلك أن اعتزاز الإسلام بالإنسان كمخلوق مهما كان كان اعتقاده ولونه وجنسه ثم ايمان المسلمين بالسابقين من الأنبياء وبشرعية وجود أصحاب الديانات الأخرى، الذين اعتبرهم القرآن الكريم (أهل كتاب) لهم مكانهم فى المجتمع الإسلامى هذا الأمر هو الذى أفرز فى النهاية ما نسميه اليوم قضية حقوق الأقليات غير المسلمة وبالمقابل نجد أن أوروبا المسيحية اختصرت الطريق من بدايته وكان رفض اعتراف الكنيسة بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام وبتعاليمه وهى القضية التى لم تحسم بالفاتيكان الى الآن كان هذا الموقف هو الأساس الذى بنت عليه أوروبا المسيحية موقفها فى عدم الاعتراف بشرعية وجود المسلمين.[٤٦]

لقد قبل الإسلام الآخر بكل ما له من عادات وتقاليد وشرائعه الخاصة بهم، فنجده على سبيل المثال قبل زواج المجوسي من ابنته، وفي المغني (لابن قدامة) أن مجوسياً تزوج ابنته فأولدها بنتاً، ثم مات عنها فكان لها الثلثلان مم ترك وهو الأمر الذى أثار حفيظة الخليفة عمر بن العزيز، فكتب إلى الحسن يسأله : مابال من مضي من الأئمة قبلنا، أقروا المجوس على نكاح الامهات والبنات، فكتب إليه الحسن قائلاً : أما بعد فإنما أنت متبع ولست بمبتدع يعني أن الرسول عاملهم كأهل ذمة لهم شرائعهم الخاصة التى أقروا عليها.[٤٧]

وكان إبراهيم بن هلال (الصابي) من الصائبة – وهم قوم من المجوس لهم ديانة خاصة – قد بلغ أرفع مناصب الدولة فى (العهد العباسي) وتقلد الأعمال الجليلة فى تقدمه الشعراء وكانت بينه وبين زعماء الأدب والعلم من المسلمين صلات حسنة. وقال خلف المثني، لقد شهدنا عشرة فى البصرة، يجتمعون في مجلس لا يعرف مثلهم فى الدنيا علماً ونباهةً، وهم الخليل

٤٤- سورة النساء : آية ٣٢

٤٥- سورة النساء : آية ٧

٤٦- مواطنون لا ذميون، فهمى هويدى، مرجع سابق، ص٦٠

٤٧- مواطنون لا ذميون، فهمي هويدي، مرجع سابق، ص٦٢

بـن أحمـد صـاحب النحو(وهوسـني) والحميـري الشاعر(وهوشـيعي) وصـالح بـن عبـد القـدوس(وهو زنـديق ثنـوي) وسـفيان بـن مجاشـع (وهـو خـارجي صـفري) وبشـار بـن براد(وهوشـعوبي خليـع مـاجن) وحمـادعجرد (وهـو زنـديق شـعوبي) وايـن راس الجـالوت الشاعر(وهويهودي)وابن نظير المتكلم (وهونصراني) وعمربن المؤيد (وهومجوسي) وابن سنان الحرانـي الشـاعر(وهو صـائبي)... هؤلاء جميعـا كـانوا يجتمعـون فيتناشـدون الأشـعار ويتنـاقلون الأخبـار ويتحـدثون فـى جـو مـن الـود لا تكـاد تعـرف مـنهم أن بينهم هذا الاخـتلاف الشديد فى دياناتهم ومذاهبهم.(٤٨)

وجاء فى فتوح البلدان - أن الوليد بن عبدالملك الأموى أخذ كنيسة يوحنا من النصارى قهراً وأدخلها فى المسجد، فلما أستخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى إليه مافعل الوليد بهم فى كنيستهم فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده فى المسجد عليهم.(٤٩)

وهذا كان شكل من أشكال العنصرية المتمثل فى الاستقواء بالحكم والاستئثار بالسلطة على الأقلية الدينية، إلا أن تعاليم الدين الأسلامى الذى فهمه عمر بن عبدالعزيز وطبقها رفضت هذه العنصرية البغيضة، وأسست فى الحكم المساواة بين الكافة واحترام جميع الأديان وحقوق الآخرين.

وأجلى الوليد بن يزيد من كان بقبرص من الذميين وأرسلهم إلى الشام مخافة حملة الروم فعضب على ذلك الفقهاء وعامة المسلمين فى عصره، فلما ردهم يزيد بن الوليد إلى قبرص استحسنه الناس واعتبروا ذلك عدلاً.

ومن مفاخر الدين الإسلامى أنه سوى بين الناس، ولم يجعل لجنس على جنس مزية فكان بذلك دينا يقاوم الطبقات ويقاوم تسلط الشعوب على الشعوب، ويقول أستاذنا الإمام محمد عبده فى ذلك الموضوع : رفع الإسلام كل امتياز بين الاجناس البشرية، وقرر لكل فطرة شرف النسبة إلى الله فى الخلقة، وشرف اندراجها فى النوع الإنساني فى الجنس والفصل والخاصة، وشرف استعداداها بذلك لبلوغ أعلى درجات الكمال الذى أعده الله لنوعها، على خلاف ما زعمه المنتحلون من الاختصاص بمزايا حرم منها غيرهم، وتسجيل الخسة على أصناف زعموا انها لن تبلغ من الشأن أن تلحق غبارهم، فأماتوا بذلك الأرواح فى معظم الأمم، وصيروا أكثر الشعوب هياكل وأشباحا.(٥٠)

٤٨- مواطنون لا ذميون، فهمي هويدي، مرجع سابق، ص٦٣/٦٤

٤٩- كتاب فتوح البلدان لامام احمد بن يحيي بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذرى – شركة طبع الكتب العربية١٣١٧هـ - ١٩٠٠م، ص١٣٢

٥٠- مقارنة الأديان الإسلام، دكتور أحمد الشلبي، مرجع سابق، ص١٠٤

المطلب الثانى
معاملة الأسرى

على مر تاريخ الإسلام، كان للمسلمين فى معاملة الأسري – إبان الحروب – موقف ثابت ومشهور.. موقف حدده القرءن الكريم، وطبقته السنة النبوية .. والتزم به المسلمون.حتى عندما خرج عليه أعداء الإسلام. فالأسير لا يقتل. والجرحى من الأسرى يعالجون من جراحهم. وإيثارهم بالطعام على النفس المحتاجة صفة من صفات المسلمين.
يقول الله سبحانه وتعالى: وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا[٥١] ومصير الأسرى إما المن بالحرية وإما الفداء.

الفرع الأول
معاملة الأسرى بين الغرب والإسلام

ويقول الله سبحانه وتعالى : فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً[٥٢]
وقد التزم المسلمون بهذا الخلق الإسلامى، حتى فى الحروب التى قتل فيها الصليبيون الغربيون آلاف الأسرى من المسلمين .. مدنيين وجنوداً. حدث ذلك فى عهد صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢-٥٨٩هـ = ١١٣٧-١١٩٣م) يوم حرر القدس (٥٨٣هـ – ١١٨٧م) فلم يقتل أسرى الصليبيين الذين سبق وقتلوا سبعين ألفاً من أسرى المسلمين عندما احتلوا القدس (٤٩٢-٥٩٩هـ/١٠٩٩م) وحدث ذلك أيضاً إبان الحروب الصليبية، رغم قتل الملك الصليبى الإنجليزى ريتشارد قلب الأسد لآلاف الأسرى المسلمين، عندما غدر بهم بعد أن قطع لهم عهد الأمان. وحدث ذلك أيضاً من الملك الكامل الأيوبى عندما حرر مدينة دمياط من الصليبيين الذين سبق وأبادوا جميع من كان بها من المسلمين مدنيين وجنوداً .
وفى القرن العشرين، إبان الحرب العالمية الأولى قاد العالم المسلم بديع الزمان سعيد النورسى كتائب الجهاد العثمانى ضد جيوش القيصرية الروسية وأتباعها من الأرمن .. فكان الأرمن يغيرون عى القرى المسلمة، فيقتلون أسرى المسلمين، بمن فيهم الأطفال .. حتى إن بعض عوام المسلمين ذهبوا إلى معاملتهم بالمثل .. وفى إحدى المرات تجمع آلاف من أسرى أطفال الأرمن، وكاد العوام أن يثأروا منهم بالقتل لهم .. لكن الشيخ النورسى منع ذلك وقال لهم : (إياكم أن تمدوا أيديكم إليهم بأى أذى) ثم أمر بإطلاق سراحهم، وسمح لهم بالذهاب إلى المعسكر الروسى، حيث التحقوا بأهليهم خلف الخطوط الروسية. ولقد كان من أثار هذا الموقف الإسلامى أن حذا الأرمن حذوه، فتخلوا عن رذيلة قتل الأسرى، فى القرى المسلمة فحقن الإسلام دماء الأسرى من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء. وهكذا يصبح الخلق الإسلامى مثالاً حتى للأعداء وحتى فى ساحات الصراع والاقتتال.
يؤمن المسلمون بحكم دينهم بوحدة الغنسانية فى الخلق وتساوى الناس فى التكريم الإلهي.
وفى التكليف والحساب والجزء.

٥١- سورة الإنسان : آية ٨:٩
٥٢- سورة محمد : آية ٤

الفرع الثانى
الرق وموقف الإسلام منه

ونجد موقف الإسلام من الرق فى قول النبى عليه السلام : شر الناس من باع الناس، وإن كان الإسلام لم يلغ الرق إلغاء صريحا مباشرا - فقد وضع الإسلام نظام يكفل إلغاء الرق والعمل على تقليل أسبابه، مع مرور الوقت حيث للإسلام فلسفة فى معالجة كل مسألة ليست أساسا من أسسه، ذلك النظام ينحصر فى مبدأين مهمين :

١- تضييق المدخل إلى الرق.

٢- توسيع المخرج من الرق.

أ- تضييق المدخل : جاء الإسلام وللرق وسائل أو مداخل كثيرة سبق أن ذكرناها، ومنها البيع والمقامرة، والنهب، والسطو، ووفاء الديون، والحروب فألغى الإسلام جميع هذه المداخل. ومن الأدلة الواضحة على أن الإسلام يضيق مدخل الرق ويميل للتحرير ما ذكره الفقهاء من أنه إذا وجد طفل ادعى رجل نصراني أنه ابنه، وادعى مسلم أنه عبده، فإنه يقضى به للنصراني حتى لا يدخل الطفل باب الرق ولو كان رقه إسلامه.[٥٣] ومن تضييق المدخل أن الإسلام قرر نحوهم التصرفات الآتية:

١- تبادل الأسرى.

٢- المن على الاسرى.

٣- قبول الفداء منهم.

ب- توسيع المخرج : أما أولئك الذين يصبحون أرقاء بطريق أو بآخر، فإن الإسلام يفتح لهم أبواب ليعيد لهم الحرية عن طريق :

١- الترغيب فى العتق والوعد بالثواب العظيم.

٢- جعل العتق كفارة على المذنب فى بعض الأحوال.

٣- مكاتبة العبد وهى عقد بين العبد وسيده لإعادة الحرية نظير مال.

٤- التدبير وهو أن يوصي السيد بأن يكون عبده حرا بعد موته.

٥- إذا أصاب السيد أمته فحملت منه ووضعت ما تبين منه شيء من خلق آدمى حرم عليه بيعها وهبتها وعتقت بموته، وكان ولده منها حرا.

٦- إن من أعتق بعض عبد يملكه، عتق كله، فإن كان يملك بعض العبد وله شريك يملك باقيه فأعتق نصيبه عتق العبد كله وقوم عليه ما يملكه الشركاء غن كان موسرا ودع لهم ثمنه.

٧- إن ملك واحدا من ولديه أو والديه عتق عليه فى الحال.[٥٤]

ويقول غوستاف لوبون ونذكر أن العرب يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقاً لنظمهم السياسية، وأن مبدأ المساواة الذى أعلن فى أوربة قولاً، لا فعلاً، راسخ فى طبائع الشرق رسوخاً تاماً. وأنه لا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التى أدى وجودها إلى أعنف الثورات فى الغرب ولا يزال يؤدى.[٥٥]

٥٣- دكتور محمد يوسف موسى- مجلة المسلمين، العدد الأول ص٨، مشار إليه مقارنة الأديان- الإسلام ص٢٣٨

٥٤- مقارنة الاديان- الإسلام ، مرجع سابق، ص ٢٣٦ : ٢٤٢

٥٥- حضارة العرب، غوستاف لوبون، مرجع سابق ، ص٤٠٤

المطلب الثالث

المساواة فى الإسلام

إن المساواة بين الأجناس نابعة من إنسانية الحضارة الإسلامية، وتلك نابعة من إنسانية الإسلام وعالميته، التى جاءت لتسلك الشرائع المحلية فى شريعة عالمية.. والديانات القومية فى دين إنسانى .. والنبوات المرحلية فى نبوة خاتمة خالدة. أى إنها جاءت لتنتقل بالإنسان من ضيق الأفق المحلى إلى استشراف الأفق الإنساني وتنتقل بالإنسانية من التشرذم والتعصب القبلي إلى أفق الوحدة الإنسانية والعالمية. وإسلامية هذه الحضارة تضمن فى ذات الوقت لغير أهلها حريتهم وعزتهم.. وفق إعلان الفاروق عمر بن الخطاب : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟" فهى لا تقيم تناقضا بين عزة أهلها وعزة أمم حضارات الإنسانية جمعاء.

إنها حضارة الوسطية المتوازنة الجامعة.

- الجامعة بين الفرد والطبقة والأمة فالإسلام دين الجماعة.
- والجامعة بين الدولة المدنية والمرجعية الإسلامية التى لا كهانة فيها.
- والجامعة بين ملكية الله للأموال والثروات .. وبين اختصاص الإنسان بالحيازة وملكية المنفعة الاجتماعية، بحكم استخلافه عن الله، مالك الرقبة فى الثروات والأموال.
- والجامعة بين الوحدة فى العقيدة، والشريعة، والحضارة، والأمة، ودار الإسلام... وبين التمايز والخصوصيات فى المذاهب والشعوب والأقاليم والأوطان والأعراف.[٥٦]

وهذه الوحدة للإنسانية، هى آية من آيات الله سبحانه وتعالى إذ يقول : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا.[٥٧] وقوله سبحانه وتعالى : هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ.[٥٨] وفى العهد الذى كتبه الإمام على بن أبى طالب – رضى الله عنه إلى واليه على مصر يقول له " الناس صنفان : أخ لك فى الدين، ونظير لك فى الخلق" وهنا نجد توجيه سيدنا على لواليه مالك الأشتر كيف تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم (الراع والرعية) نابعة من رباط الانسانية التى تجمع بين الطرفين ومن قيم المساواة امام الله وامام القانون.[٥٩]

ويؤمن المسلمون أن الإنسانية قد بدأت حياتها على هذه الأرض أسرة واحدة وجماعة واحدة وأمة واحدة... ثم كان التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف فى إطار الإنسانية الواحدة، وذلك حتى يتم التسابق والتدافع والتنافس فى الخيرات، ويتم التعارف والتعايش ويتحقق التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعداون.[٦٠]

٥٦- الإسلام فى مواجهة التحديات ، مرجع سابق ، ص ١٦٢

٥٧- سورة النساء : آية ١

٥٨- سورة الأعراف : آية ١٨٩

٥٩- عهد الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر - وثيقة إسلامية ذات أبعاد قانونية - سياسية اجتماعية - إدارية - اقتصادية - عسكرية، شبكة الفكر، مؤسسة الرياض للطباعة العلمية، ص٦

٦٠- الإسلام فى مواجهة التحديات، مرجع سابق ، ص١٢٦

الفرع الأول
شهادة للتاريخ

** ومن الشهادات النصرانية، شهادة المستشرق الإنجليزى الحجة سير "توماس أرنولد" (١٨٦٤- ١٩٣٠م) التى يقول فيها : "" إنه من الحق أن نقول إن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال فى ظل الحكم الإسلامي، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوروبا قبل الأزمنة الحديثة، وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين و المتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح"".
* وغير توماس أرنولد – يشهد على سماحة الإسلام المستشرق الألمانى الحجة "" آدم متز"" (١٨٦٩- ١٩١٧م) الذى قال " لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام".
* ولقد أيد هذه الحقيقة المؤرخ القبطي "يعقوب نخلة رفيلة" (١٨٤٧-١٩٠٥م) الذى شهد فى كتابه "تاريخ الأمة القبطية" على أن عمرو بن العاص قد استعان فى حكم مصر بفضلاء القبط وعقلائهم.
* وكذلك يشهد المؤرخ المعاصر " الدكتور جاك تاجر"(١٣٣٦- ١٣٧١هـ) (١٩١٨- ١٩٥٢م) على التحرير الإسلامى لمصر - عند دخولهم مصر الحرية الدينية، وخففوا عنهم الضرائب، ولقد ساعدت الشريعة الإسلامية الأقباط على دخولهم الإسلام.
تلك شهادات من أهلها وهى مجرد نماذج وليست حصراً.[٦١]

حال المسلمين وحال غير المسلمين

ف العهد الحاضر ترى غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية يستمتعون بالحقوق الواسعة التى كفلها لهم الإسلام وينعمون بالتعاون والود وطيب العشرة التى اشتهر بها المسلمون وكثيرا ما ترى الثروات الضخمة والتجارات الكبيرة يملكها يهود أو مسيحيون يعيشون فى ظل حكومات إسلامية.
أما حاضر المسلمين الذين يعيشون تحت حكومات غير إسلامية فيدلل على الآلام والقسوة والرحمان والطرد والصراع المرير، إنهم هكذا يعانون فى إسرائيل، حتى هجروا ديارهم ثم لم يسمح لهم بالعودة إليها. وهم كذلك عانوا فى الهند قبل التقسيم حتى اضطروا إلى أن يستقلوا بقطعة من أرض الهند أطلقوا عليها باكستان، وهم كذلك يعيشون فى الفلبيين الآن.
والماضى صورة من الحاضر فى الحالتين، فقد لقى المسلمون من الحكومات غير الإسلامية صنوف الاضطهاد والتنكيل.[٦٢]

٦١- الإسلام فى مواجهة التحديات، مرجع سابق، ص ٣٧/٣٦
٦٢- مقارنة الأديان، الإسلام – دكتور احمد الشلبي، مرجع سابق، ص١٦٧

الفرع الثانى
الإسلام والمساواة

الإسلام والمساواة :[٦٣]

لقد وقف الإسلام نحو المساواة موقف فريدا بين الاتجاهات القديمة والاتجاهات الحديثة

** فالهندوسية قسمت أتباعها أقساما متميزة، وجعلت الحقوق تتفاوت بتفاوت هذه الأقسام.

** وجاءت البوذية بالهند أيضا فألغت الطبقات ولكن بشرط الدخول فيها، فلم تتخذ البوذية المساواة مبدأ لذات المساواة، ولكنها جعلت كل البوذيين – لا كل البشر متحدين.

** وفى بلاد فارس وجدت نظرية "الحق الإلهي المقدس" التى تجعل الملوك آلهة أو ممثلين للآلهة، وتقول بأن دما إلهيا يجري فى عروقهم دون سائر البشر.

** وجاءت اليهودية، فجعلت اليهود شعبا مختارا يفوق كل الشعوب، ثم راح اليهود داخل الشعب نفسه يكونون الطبقات، فباركوا أبناء يعقوب ولعنوا أبناء أخية الأكبر عيسو، وسار اليهود على مبدأ التفريق بين البشر إلى أبعد الشوط، فجعلوا الرحمة والعطف والإخاء والمودة وقفا على فقراء اليهود ومحرمة على سواهم، وحرموا الربا مع اليهود وأباحوه مع غيرهم، وورد بالعهد القديم عن ذلك: (للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك فى كل ما تمد إليه يدك).[٦٤]

** وجاءت المسيحية لترد اليهود عن جشعهم وتعلقهم بالمادة، ولتحث على إطعام الفقير ورعاية البائس، ولكن سرعان ما تحولت المسيحية بفعل رجال الكنيسة إلى خلق الطبقات والتفريق بين شعب وشعب، وكذلك إلى عزل الكنيسة عن المجتمع وعزل الدين عن الحياة وطالما ناصرت الكنيسة الباطل، ورعت الحكام الجائرين، وأباحت لهم الشهوات واللذائذ وجعلتهم طبقة أرفع من طبقات البشر.

ذلك هو الاتجاه القديم. فكيف اتجهت المدنية الحديثة حيال المساواة؟ إن الإجابة على هذا السؤال لا تحتاج إلى كبير عناء، فالتفرقة العنصرية وهى التى يعامل بها البيض سكان المستعمرات تدل دلالة واضحة على الطبقية المسعورة التى خلفتها هذه المدية الزائفة، ومن ذلك ما يعانيه الزنوج بامريكا من اضطهاد وعسف، وقد دفع "كنيدي" حياته ثمنا لموقفه العادل من هؤلاء الزنوج، فما إن نادى بالمساواة وعمل على أن يلزم بها المتعصبين حتى دبرت جريمة اغتياله من الصهاينة ورعاة التفرقة العنصرية البغيضة.

** أما الإسلام ... فقد ساوى بين المسلمين، وبين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، وساوى بين الرجل والمرأة، وقرر للرقيق حقوقا لا مثيل لها فى أى كتاب، فلا نجد فى الإسلام تفرقة ولا تمييز، وإن وجد فيكون تمييزاً إيجابيا لصالح الطرف الضعيف بحسب طبيعتة كالمرأة مثلا أو بطبيعة الأمر ذاته، كقصر منصب الخليفة أو رئاسة البلاد على الرجال دون النساء... فبعد أن هاجر الرسول إلى المدينة أراد أن يجعل منها وطنا واحد للعرب واليهود، وأن يجعل من الفريقين أمة واحدة تجمعها جامعة الوطن، ولا يفرق بينها اختلافها فى الدين. فأبطل ما كان بين أهل المدينة قبل الإسلام من المعاهدات المفرقة

٦٣- المرجع السابق، ص ١٧٨-١٧٩

٦٤- سفر الخروج ، الأصحاح الثانى والعشرين، مشار إليه مرجع السابق ، ص١٧٧

الظالمة، وعقد بينهم معاهدة تحقق الأغراض التى أرادها لهم، وتجعلهم أمة واحدة على أعدائهم، وكتب بها كتاباً بين المهاجرين والأنصار واليهود.[٦٥]

المسلم والمخالف معه فى الدين : ويستفاد من هذه المعاهدات أسس هامة :

١- **حرية العقيدة** : فقد أقر الرسول غير المسلمين على دينهم. يقول الله سبحانه وتعالى : فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ٤٠.[٦٦] ويقول أيضا سبحانه وتعالى : وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٰمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ.[٦٧]

٢- **المساواة فى الحقوق والواجبات**: فقد ساوى الرسول بين المسلمين ومن عاهدهم من اليهود فى الحقوق والواجبات بقوله " وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة" ، بل أن الرسول ساوى بين اليهود أنفسهم بعضهم ببعض، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال : فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ.[٦٨]

٣- **حرمة الملكية** : أقرت هذه الوثيقة حرمة مليكة الأفراد، أو بتعبير ابن اسحاق "وكتب رسول الله كتابا بين المهاجرين والانصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم".

٤- **حرمة النفس وحق الأمن وحرمة المسكن** : نصت الوثيقة على "وأن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة" والحق أن هذه المعاهدة فتحت فتحاً جديداً فى السياسة الدينية، كما يقول الاستاذ عبد المتعال الصعيدى، فأقرت حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرمة الوطن، وحرمة الحياة والنفس والمال، ولم يحدث مثل هذا قبلها فيما بين الاديان.

وقد كفل الإسلام حرمة المسكن يقول الله سبحانه وتعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.[٦٩] فضمن الإسلام فى أوامر صريحة عامة، الأمن والسلام والكرامة للجميع، ولأن النص القرآنى المتقدم عام لم يخصص فيشمل بعمومه غير المسلمين فى دار الإسلام. ثم سار الخلفاء الراشدون على سنة الرسول غى معاملة أهل العقائد الاخرى فى الدولة الإسلامية والمحافظة على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعهم، وما أعطاه الرسول من كتب إليهم.

ومثال ذلك أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي - أوفوا لأهل نجران بعهد الرسول إليهم، رغم نقضهم العهد فى زمن عمر، وفى خلافة أبى بكر كتب خالد بن الوليد كتاباً لأهل الحيرة وصالحوه على ما صالح عليه غيرهم من أهل الكتاب، ولم يلزم ألف رجل منهم بها كانت بهم زمانة (أى مرض).

وفى خلافة عمر عاهد أمراؤه بلدانا من دولة الفرس بأعطائهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم، لا يغيرون من ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة، كما عاهد خالد بن الوليد أهل دمشق بالشام وأمنهم على دمائهم وأموالهم وكنائسهم، كما عاهدهم أبو عبيدة بمثل ذلك. ومعاهدة عمر مع أهل بيت المقدس أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم

٦٥- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى عصور التاريخ الإسلامى وفى العصر الحديث، د/عبد المنعم أحمد بركة - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. ص ١٤٤

٦٦- سورة الرعد : آية ٤

٦٧- سورة يونس : آية ٩٩

٦٨- سورة المائدة : آية ٤٢

٦٩- سورة النور : آية ٢٧

وصلبانهم،.... وأعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وكنائسهم وبرهم وبحرهم.[٧٠]

ويقول علي رضى الله عنه : إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا- فأوجب لأهل الذمة عصمة المال وعصمة النفس، وفى خلافته قتل مسلم "ذمياً" فسلمه إلى والي الذمى ليقتص منه، إلا أنه عاد به بعد أن قبل الدية، ولم يرتض "علي" منه ذلك إلا بعد محاورته وعلم منه صحة عزمه بقبول الدية (خشية أن يكون قد وقع عليه تخويف من أهل القاتل أو غيرهم). ولقد بلغ من معاملة المسلمين الحسنة وعدم التفرقة بين المقيمين تحت راية الإسلام وحكم قادته المسلمين، أنهم لما حشد الامبراطور "هرقل" جيشا ضخما لصد قوات المسلمين الفاتحة للشام، دعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين وقالوا : (ردكم الله علينا ونصركم عليهم (أى الروم)... ولما بلغ الجيش الإسلامى وادى الأردن كتب الأهالى المسيحيون إلى العرب، يقولون (يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرفء بنا، وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا).[٧١]

ويثبت المستشرق "جولد تسيهر" هذه الحقيقة – كفل الإسلام حرية العقيدة لغير المسلمين – فيقول (إنه مما لا يمكن انكاره أن الأوامر القديمة التى وضعت للمسلمين الفاتحين ازاء أهل الكتاب الخاضعين لهم كانت قائمة على روح التسامح وعدم التعصب).[٧٢]

وأخذاً بالمبدأ الفقهي (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) تكون لهم هذه الحريات والحقوق:-

١- حرية الرأى. يقول جوستاف لوبون – أن العرب أول من على العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين. وجعل الخليفة الحكم الثانى بلاد الأندلس فردوساً وكان اليهود والنصارى يتلاقون فى تلك البلاد تحت ظلال الأمن والحرية، وقال دوزى (العالم والمؤرخ الفرنسي) : إذا قيست حرية العرب بحرية الأفرنج تشبه هذه الاستبداد.[٧٣]

٢- المساواة بصدد احترام حق الملكية : يقول أبو يوسف (المسلم يسرق من الذمي إنه يلزمه ما يلزم السارق المسلم، وكذلك لوكان السارق ذميا يلزمه ما يلزم السارق المسلم. وان من سرق من يهودي أو نصراني أو أخذ من أهل الذمة من غيرهما : يقطع).[٧٤]

٣- حرية التنقل وحرمة الامن.

٤- تأمين أهل الذمة وكفالتهم من بيت المال.

٥- المساواة فى القصاص وفى الديات.[٧٥]

٧٠- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى عصور التاريخ الإسلامى وفى العصر الحديث مرجع سابق، ص ١٧٤: ١٧٦

٧١- المرجع السابق، ص ١٨٦

٧٢- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى عصور التاريخ الإسلامى وفى العصر الحديث، مرجع سابق، ٢٠٧

٧٣- المرجع السابق، ص ٢١٤

٧٤- المرجع السابق ، ص ٢٠١٥

٧٥ - المرجع السابق ، ص ٢٢٦،٢٢٤،٢١٧

الفرع الثالث
المساواة مع غير المسلمين حديثا

تحكم الدول الآن الجنسية وهى انتساب الشخص لدولة معينة، فهى رابطة سياسية وقانونية بينه وبينها، وهى بذلك تتصل بالقانون الدستورى من زواية تحديده للمواطنيين كركن للدولة ولكفالته حق المواطن فى جنسيته، وتتصل كذلك بالقانونين الدولى العام والخاص باعتبارها أساس توزيع الأفراد بين الدول. ولقد أثبت التاريخ أن الجنسية ارتبطت فى العصور القديمة بالدين، ووحدة العقيدة، ويؤكد علماء الاجتماع والمختصين فى التاريخ القديم أن الدين كان الأساس الأول للجماعة الإنسانية.

ولا يشترط فى أفراد الدولة أن ينتموا جميعا إلى جنس واحد، أو الأصل أو الحضارة أو اللغة، ومن النارد وجود ذلك، بل الغالب أن توجد فى الدولة أقليات واحدة أو أقليات متعددة تختلف عن الأغلبية من حيث الجنس (الزنوج فى أميركا) أو اللغة (أبناء إقليم كوبيك فى كندا لغتهم الفرنسية) أو الدين (الاقليات الإسلامية فى الفلبيين أو سيلان أو الصين أو الاتحاد السوفيتي).... وإذا كان البعض من الدول يعامل الأقليات على قدم المساواة – كمبدأ عام مع الأغلبية، فإن البعض منها يعامل – رسميا أو واقعيا – الأقليات معاملة دون معاملة الاغلبية (الأقليات الزنجية فى الولايات المتحدة، الأقليات المسلمة فى أثيوبيا) ومن ثم يعد هذا التصرف منافياً للعدالة ويشكل خروجا على أحكام القانون الدولى الوضعي.

موقف الإسلام من الجنسية بمعناها الفقهي فى العصر الحديث :

نبادر إلى القول أن الإسلام لا يعترف بالحدود الإقليمية فى بيان إقليم الدولة كما هو معروف فى العصر الحديث للفصل بين الحدود الدولية، ذلك أن الإسلام عقيدة وشريعة، فيكون المسلمون مهما كانوا فى أية بقعة من بقاع الأرض أمة واحدة.

ويقول الإمام محمد عبده (هذا ما تقضى به الشريعة الإسلامية على إختلاف مذاهبها لا جنسية فى الإسلام ولا امتياز فى الحقوق بين مسلم ومسلم). ونجد السيد محمد رشيد رضا قد سار على نهج الاستاذ الأمام - ويقول أن الإسلام دين لا جنسية، وليس فى الإسلام معنى الجنسية المعروفة الآن.

وبالبحث نجد بعض الباحثين يذهب إلى أن الإسلام دين وجنسية معا، وأن غير المسلمين فى دار الإسلام هم الأجانب، ويلاحظ أنه مع القول بذلك فإن الأجنبي يتمتع بكافة الحقوق التى يتمتع بها المواطنون الأصليون، بل أنه يستمتع بمزايا خاصة إضافية، وهى أنه يخضع لقوانيه الخاصة فى شئون الأسرة، وفى شئون الدين، لا يجد من ذلك إلا قيد النظام العام.[٧٦] غير أنه محروم من بعض الحقوق السياسية مثلا حق الانتخاب وتولى الوظائف العليا مثل الوزراء والمحافظين ورئاسة البلاد، فهذه كلها أمور مقصرة لأصحاب البلد الأصليين وتحدد طبقاً للقانون الغير مطبق على الأجنبي، وهذا أمراً طبيعي يتفق ومصلحة الدول كافة. وهى استثناءات محدودة لا تخل بمبدأ المساواة العامة، وهو مبدا أساسى مرعى فى الدولة الإسلامية. وليس في هذا تفرقة ولا تمييز، ولا يجعله أبداً للعنصرية البغيضة الذى رفضه الإسلام، على عكس ما يحدث ونراه فى دول الغرب وأمريكا.

٧٦- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى عصور التاريخ الإسلامى وفى العصر الحديث مرجع سابق، ٢٨٢ :٢٨٤

وأدلة المساواة كثيرة جرت على لسان الغربيين أنفسهم -

يقول المؤرخ الأمريكى "درابر" إن المسلمين الأولين لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى المنظورين ومن اليهود محل الاحترام، بل فوضوا لهم كثيراً من الأعمال الجسام، ورقّوهم إلى المناصب فى الدولة حتى إن "هارون الرشيد" وضع جميع المدارس تحت مراقبة (حنا مستة) فكانت مفوَّضة أحياناً إلى النسطوريين وإلى اليهود تارة أخرى. حتى إن النزهاء من مؤرخى اليهود يعترفون بأن عصر الحضارة الإسلامية بالأندلس. مثلا. كان العصر الذهبي لليهود، يقول (سيمون دينوه) فى كتابه (تاريخ اليهود) لأول مرة يتمكن قسم من الشعب اليهودى من التمتع بحرية الفكر وفى القرنين الحادى عشر والثاني عشر بلغ تطور الفكر اليهودي قمة النجاح.[٧٧]

ونؤكد على أن مفهوم المواطنة عرف منذ صدور أول دستور عثماني عام (١٨٧٦م) مقرراً مبدأ المساواة فى جميع الحقوق والواجبات بين مواطني الدولة على اختلاف أديانهم.[٧٨]

** ومما يؤكد أن المسلم الحق يعرف جيداً أن الإنسان أخا له فى الإنسانية، وهى أعلى مراتب الحياة، ومن أعلى مراتب الإيمان، مايستشيفه الباحث والقارئ معاً:

نشرت صحيفة "أخبار اليوم" فى عددها الصادر يوم السبت ٢٤أكتوبر ١٩٩٢ وجاء به " واحتج مسلو بريطانيا على ظهور السيد المسيح فى برنامج العرائس التليفزيونى الشهير بصورة هزلية جعلته أشبه بالهيبيز.

أعلن المسلون احتجاجهم وغضبهم بشدة على الصور الكاريكاتورية التى يرون أنها تقلل من شأن أحد الرسل الذين يؤمنون بهم كما جاء فى القرآن.

وكان منتجو البرنامج الشهير قد تجاهلوا من قبل احتجاج بعض المسيحيين على هذه الفقرة ... ولكنهم أمام ردود فعل المسلمين الغاضبة من خلال اللجنة البريطانية للشئون الإسلامية والتى نظمت من قبل حملة ضد كتاب سلمان رشدي "آيات شيطانية".. اضطروا لإلغاء هذه الشخصية الهزلية للمسيح من البرنامج.

وتقول جريدة "صنداى تلجرف" البريطانية أن مسلمي بريطانيا كانوا أكثر غضباً وأكثر عزماً على وقف هذه المهزلة من المسيحيين أنفسهم.[٧٩]

٧٧- المواطنة والوطن فى الدولة الحديثة المسلمة، تأليف د. على محمد محمد الصلابي، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م، ص٣١،٣٠

٧٨- المواطنة والوطن فى الدولة الحديثة المسلمة، ص ٣٥

٧٩- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامي – د. إدوار غالي الدهبي، مرجع سابق، ص ٨٤

الخاتمة:

عرضنا فى هذا البحث من الدراسة جانب من جوانب التفرقة العنصرية وهى ظاهرة الغرب والإسلام فوبيا،وموقف الإسلام منها وكيف ابتكر الغرب هذا المصطلح وأمن به وقننه على خلاف حقيقة الإسلام السمحة فكانت هذه الدعوة بمثابة حرب على الإسلام والمسلمين وكان من نتائجها اضمار العداء لكل المنتمين للإسلام ووصفهم بالإرهابيين.

فالإرهاب لا دين له وإذ وجدت للأسف بعض التيارات التى تتمسح فى الإسلام ويرتكبون أفعالاً إرهابية باسمه، فالدين الإسلامى منهم براء فهم شرزمة قليلة لا تعبر عن صحيح الإسلام ولا تمثل المسلمين.

أهم النتائج

١- الإسلام فوبيا ظاهرة حديثه من صنع الغرب لتشويه صورة الإسلام الحقيقية السمحة.

٢- تساهم بعض الجماعات المتطرفة التى تتخذ الإسلام شعاراً لها فى نمو هذا العداء وهى لا تمت للإسلام بثمة صلة.

٣- ظهور بعض التيارات الإسلامية المعتدلة من أبناء المسلمين فى الغرب يتبنوا الدعوة إلى تعاليم الإسلام والتعريف به وبنبيه بلغة الغرب من خلال تجديد لغة الخطاب الدينى ومسايرته لموجة التطور التكنولوجى العالمية.

التوصيات :

١- يوصى الباحث بتشريع دولى يلزم كل دول المجتمع الدولى جبراً بمنع هذه الجريمة والعقاب عليها ولا يكتفى الأمر عند حد الدولة عضو فى المحكمة الدولية الجنائية أم لا.

٢- يوصى الباحث بعقد مؤتمرات وندوات عالمية للتعريف بالأديان السماوية والعقاب على اذدراءها وخاصة الدين الإسلامي والعمل على فتح قنوات فى كافة وسائل الاتصالات حتى يتثنى للجميع معرفة حقيقة هذا الدين الإنساني الجميل باعتباره أكثر الأديان اتهاماً بالعنصرية.

٣- يوصى الباحث بأن تصدر الدول قوانيين تفعل دور حقوق الإنسان وحرياته، عض النظر عن شكله، أو لونه، أو جنسه.

٤- الدعوة إلى إعلاء القيم الدينية والإنسانية السمحة بين أفراد المجتمع الواحد، ونشر مفهوم المساواة والمواطنة بين جميع المواطنيين فى الحقوق والواجبات، حتى تسوء المحبة والإخاء فى نُفوسهم، مما ينعكس على الفرد والجماعة.

٥- أناشد جميع المؤسسات التربوية والتعليمية فى جميع دول العالم بداية من رياض الأطفال، وحتى مؤسسات التعليم العالي فى بث التربية السليمة التى تدعو إلى المحبة والإخاء وغرسها فى نفوس النشء والشباب، فمن شبَ على شئ شاب عليه. وفى هذا الشأن يقول نيسلون منديلا (لايوجد إنسان ولد يكره إنساناً آخر بسبب لون بشرته أو أصله، أو دينه، الناس تعلمت الكراهية وإذا كان بالإمكان تعليمهم الحب خاصة أن الحب أقرب لقلب الإنسان من الكراهية).

٦- تفعيل دور المؤسسات الدينية كالأزهر والكنيسة فى التمسك بتعاليمهم السمحة فى احترام الآخر والمحبة بين أفراد المجتمع الواحد، فجميع الأديان السماوية أوصت بمحبة الآخر واعتباره أخاً فى الإنسانية.
٧- تفعيل دور الحكومات فى نبذ العنصرية بين أفراد المجتمع الواحد، بتطبيق مبدأى المساواة والعدل، ونبذ أي محاباه تجاه الآخر.
٨- العمل على تشريع القوانين المناهضة للتفرقة العنصرية ووضع العقاب الرادع عليها مما يحد من التعصب والكراهية وينشر روح المحبة والتسامح.
٩- على كل دول العلم أن تحذو حذو دولة الإمارات العربية المتحدة عندما بادرت بإطلاق مبادرة إنسانية راقية فى فبراير ٢٠٢٠/٢٠٢١ بعد استضافة أبرز رمزين دينيين فى العالم وهما الأمام الأكبر فضيلة الدكتور أحمد الطيب و بابا الكنيسة الكاثولوكية البابا فرانسيس لتعزيز قيم التسامح والمحبة بين الثقافات والأديان، وترسيخ مبادئ التعايش وقبول الآخر فى نفوس البشرية جمعاء، فكانت بمثابة دعوة تطلب قادة العالم وصناع السياسات ومن بأيديهم مصائر الشعوب وموازين القوى العسكرية، والاقتصادية، بالتدخل الفوري لوضع نهاية فورية لما يشهده العالم من حروب وصراعات، كما تدعو بوقف الأديان والمذاهب فى تأجيج الكراهية والعنف والتعصب الأعمى والكف عن استخدام اسم الله لتبرير أعمال القتل والتشريد والإرهاب والبطش... وبناء عليه تم إنشاء صندوق زايد العالمى للتعايش بأمر من ولي عهد أبو ظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان بهدف دعم الجهود الرامية إلى تعزيز ثقافة التعايش السلمي والتآخي بين الأفراد والشعوب.
١٠- إيماناً بمبدأ الثواب والعقاب أوصى دول العالم برصد جائزة تسمى "جائزة التسامح " ترصد وتهدى لكل من يساهم بعمل إنسانى ينبذ الفرقة والعنصرية ويعلى من المحبة والتسامح.
١١- يجب إنشاء قنوات إعلامية تذاع باللغات الأجنبية المختلفة وخاصة للشعوب التى تزيد فيها هذه الظاهرة، لبث القيم الإنسانية وإظهار الآخر من منظوره الإنساني وتصحيح الصورة الخاطئة عن شعوب العالم غير الأول.
١٢- يجب إنشاء مجلس إعلامي لرصد البث الإعلامى الذى يساعد على ظهور الجريمة أو إنشائها ومراقبة الإعلام بكافة أشكاله والمعاقبة على ذلك. خاصة بعدما تبين قوة هذه الوسائل فى تزايد الظاهرة أو مواجهتها.

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم

كتب الأحاديث :

٢- صحيح البخاري : للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري – دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع– الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

٣- صحيح مسلم : للإمم أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى – دار احياء الكتب العربية – دار الحديث طبع. نشر. توزيع – الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ - ١٩٩١م

الكتب العلمية

٤- الإسلام فى مواجهة التحديات، د. محمدعمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة الأولى ، يناير٢٠٠٧م

٥- الإسلاموفوبيا فى أوروبا : الخطاب والممارسة – تحرير / د. بوستي توفيق – د.بوقنور إسماعيل – د. حميداني سليم – تأليف مجموعة باحثين ، الناشر المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والساسية والاقتصادية – برلين ألمانيا - الطبعة الأولى.

٦- الإسلاموفوبيا : مصطلح زائف لظاهرة حقيقة ، طيبي غماري – ورقة بحثية من رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) أوراق بحثية، تحرير مدثر محمد آلاء الصديق – منتدى العلاقات العربية والدولية.

٧- الإسلام و الإعلاموفوبيا – الإعلام الغربي والإسلام : تشويه وتخويف - الدكتور المحجوب بن سعيد - دار الفكر- دمشق – برامكة ، الطبعة الاولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٨- الغرب وسياسة التخويف من الإسلام، د.حسن عزوزي - منشورات ألوان المغربية، الدار البيضاء الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

٩- خطاب ضد الإسلاموفوبيا فى المانيا والغرب مناهضة بيغيدا – تأليف ستيفان فايدنر ترجمة - رشيد بوطيب، منتدى العلاقات العربية والدولية. الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

١٠- الإسلاموية المتطرفة فى أوروبا – دراسة حالة الجهاديين الفرنسيين فى الشرق الأوسط – د. وليد كاصد الزيدى – المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- الطبعة الأولى – بيروت – كانون الثاني يناير٢٠١٧م

١١- كندا: مقتل أربعة أفراد من عائلة مسلمة في حادث دهس "متعمد" بشاحنة، خبر فى قناة FRANCE24، بتاريخ ٢٠٢١/٦/٧م على الانترنت

١٢- منشور على صفحة موقع مجلس مسلمي أوروبا، بتاريخ ٢٠٢١/٦/٢٤م

١٣- الأقليات المسلمة فى مواجهة فوبيا الإسلام، الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين، المكتب التعاونى للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمدينة المنورة ١٤٣٥هـ،

١٤- حضارة العرب – غوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر، الناشر - مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة.

١٥- معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامي – د. إدوار غالي الدهبي ، الناشر مكتبة غريب – الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٦- موطنون لا ذميون- د. فهمي هويدى - دار الشروق - القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م- الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٧- فى فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٨- مقارنة الأديان،الإسلام ، الدكتور أحمد الشلبي ، مطبعة السنة المحمدية للطباعة مكتبة النهضة المصرية للنشر ، الطبعة الرابعة ١٩٧٣م.

١٩- كتاب فتوح البلدان لامام احمد بن يحيي بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذرى – شركة طبع الكتب العربية١٣١٧هـ - ١٩٠٠م.

٢٠- عهد الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر – وثيقة إسلامية ذات أبعاد قانونية – سياسية – اجتماعية – إدارية – اقتصادية – عسكرية، شبكة الفكر، مؤسسة الرياض للطباعة العلمية.

٢١- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى عصور التاريخ الإسلامى وفى العصر الحديث، د/عبد المنعم أحمد بركة - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٢- المواطنة والوطن فى الدولة الحديثة المسلمة، تأليف د. على محمد محمد الصلابي، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

٢٣- Omur Orhum.Intolerance and discrimination against Muslims (Islamophbia) Human Rights.no.3.(2009),p.194

فهرس البحث

عنوان البحث : ظاهرة الإسلام فوبيا فى الفكر الغربى وموقف الإسلام منها	١
المقدمة	٢
المبحث التمهيدى : وسطية الإسلام	٣
المبحث الأول : الغرب وظاهرة الإسلام فوبيا	٤
المطلب الأول : تعريف الظاهرة	٥
المطلب الثانى : أسباب الظاهرة	٧
المطلب الثالث : وسائل الظاهرة	١١
المبحث الثانى : أيديولوجية الإسلام وموقفه من ظاهرة الإسلام فوبيا	١٧
المطلب الأول : حقوق الأقليات	١٨
الفرع الأول : المرأة فى الإسلام	١٩
الفرع الثانى : الأقليات الدينية وموقف الإسلام منها	٢٠
المطلب الثانى : معاملة الأسرى	٢٢
الفرع الأول : معاملة الأسرى بين الغرب والإسلام	٢٢
الفرع الثانى : الرق وموقف الإسلام منه	٢٣
المطلب الثالث : المساواة فى الإسلام	٢٤
الفرع الأول : شهادة للتاريخ	٢٥
الفرع الثانى : الإسلام والمساواة	٢٦
الفرع الثالث : المساواة مع غير المسلمين حديثاً	٢٩
الخاتمة فى اهم النتائج والتوصيات	٣١
قائمة المراجع	٣٣
فهرس البحث	٣٥